

شرح

كشف الشبهات

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

شرح فضيلة الشيخ

محمد بن صالح العثيمين

رحمه الله تعالى

خرَّج أحاديثه وعلَّق عليه

محمد بيومي

مكتبة الإيمان - المنصورة

أمام جامعة الأزهر

ت: ٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢

ترجمة مؤلف كتاب (ثلاثة الأصول)

شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله تعالى

نسبه :

هو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن رشد بن بريد بن محمد بن مشرف بن عمر من بني تميم .

ولادته :

ولد هذا العالم في بلدة العيينة سنة ١١١٥ هجرية في بيت علم و شرف و دين ، فأبوه عالم كبير ، وجده سليمان عالم نجد في زمانه .

نشأته :

حفظ القرآن قبل بلوغ عشر سنين ، و درس في الفقه حتى نال حظاً وافراً و كان موضع الإعجاب من والده لقوة حفظه ، و كان كثير المطالعة في كتب التفاسير و الحديث ، وجد في طلب العلم ليلاً و نهاراً ، فكان يحفظ المتون العلمية في شتى الفنون ، و رحل في طلب العلم في ضواحي نجد و في مكة و قرأ على علمائها ، ثم رحل إلى المدينة النبوية فقرأ على علمائها ، و منهم العلامة الشيخ عبد الله بن إبراهيم الشمري ، كما قرأ على ابنه الفرضي الشهير إبراهيم الشمري مؤلف العذب الفائض في شرح ألفية الفرائض وعرفاه بالمحدث الشهير محمد حياة السندي فقرأ عليه في علم الحديث و رجاله و أجازه بالأمهات .
وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى - قد وهبه الله فهماً ثاقباً و ذكاءً مفرطاً وأكب على المطالعة و البحث ، والتأليف و كان يثبت ما يمر عليه من الفوائد أثناء القراءة و البحث وكان لا يسأم من الكتابة و قد خط كتباً كثيرة من مؤلفات ابن تيمية و ابن القيم - رحمهما الله - ولا تزال بعض المخطوطات الثمينة بقلمه السيال موجودة بالمتاحف .

ولما توفي والده - سنة ١١٥٣ هـ - أخذ يعلن جهراً بالدعوة السلفية إلى توحيد الله و إنكار المنكر ويهاجم المبتدعة أهل الأوثان و الأصنام ، وقد شد أزره الولاة من آل سعود و قويت شوكته و ذاع خبره .

مؤلفاته :

وله - رحمه الله تعالى - مؤلفات نافعة نذكر منها :

١ - كتاب التوحيد .

٢ - كتاب "كشف الشبهات" .

٣ - كتاب "الكبائر" .

٤ - كتاب "ثلاثة الأصول" .

٥ - كتاب "مختصر الإنصاف والشرح الكبير" .

٦ - كتاب " مختصر زاد المعاد" .

٧ - وله فتاوى ورسائل جمعت باسم مجموعة مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب تحت إشراف جامعة الإمام محمد بن سعود .

وفاته :

توفي رحمه الله تعالى عام ١٢٠٦ هـ فرحمه الله رحمة واسعة و جزاه عن الإسلام و المسلمين خير الجزاء إنه سميع مجيب و الحمد لله رب العالمين و صلى الله و سلم على نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين .

* * * * * * * * * * *

نبــذة
عن حياة الشيخ ابن عثيمين

اسمه ونسبه :

محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين المقبل الوهيبى التميمى .

مولده :

ولد فى مدينة عنيزة ، إحدى مدن القصيم فى ٢٧ رمضان عام ١٣٤٧هـ .

نشأته وطلبه للعلم :

كان الشيخ قد رزق ذكاء ، وهمة عالية وحرصاً على التحصيل العلمى ، وقد بدأ الشيخ بقراءة القرآن الكريم على جده لأمه عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ ، محفظة ، ثم اتجه إلى طلب العلم على أيدى كبار العلماء وفى مقدمتهم الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى - رحمه الله - والذى يعتبر شيخه الأول حيث لازمه وقرأ عليه التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصول الفقه والفرائض ومصطلح الحديث والنحو والصرف .

ثم قرأ على سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - حيث يعتبر شيخه الثانى ، فابتدأ عليه قراءة صحيح البخارى وبعض رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية وبعض الكتب الفقهية .

وقد التحق الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - بالمعهد العلمى فى الرياض ، بعد عام ١٣٧٢ هـ ، وبعد خروجه عُيِّن مدرساً فى معهد عنيزة العلمى مع مواصلة الدراسة انتساباً فى كلية الشريعة مع مواصلة طلب العلم على يد الشيخ عبد الرحمن السعدى - رحمه الله .

ولما توفى الشيخ السعدى تولى الشيخ ابن عثيمين إمامة الجامع الكبير بعنيزة ، بالإضافة إلى التدريس فى المعهد العلمى ثم انتقل إلى التدريس فى كليتى الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم ، وما زال بها حتى توفاه الله ، بالإضافة إلى عضوية هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية .

نشاطه فى الدعوة إلى الله :

كان للشيخ - رحمه الله - نشاط كبير فى الدعوة إلى الله ﷻ وتبصير المسلمين ، فقد عرفه الناس من خلال دروسه النافعة وخطبه الرائعة فى المسجد الكبير بعنيزة بالقصيم ، وفى دروسه بالمسجد الحرام أيام الاعتكاف فى شهر رمضان من كل عام ، ومن خلال فتاويه الرصينة لجماهير المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها فى موسم الحج ، وفى الصحف والمجلات ، وفى برنامج : "نور على الدرب" بالإذاعة السعودية . وقد حصل الشيخ - رحمه الله - على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

مؤلفاته :

للشيخ - رحمه الله - مؤلفات عديدة فى شتى أنواع علوم الدين ، منها على سبيل المثال : ٦٠ سؤالاً عن أحكام الحيض ، فى الصلاة والصيام والحج والاعتمار . وأثر المعاصى على الفرد والمجتمع . وأصول فى التفسير . والأصول فى علم الأصول . والخلاف بين العلماء : أسبابه وموقفنا منه . والدماء الطبيعية للنساء . والشرح الممتع على زاد المستنقع . والصحوة الإسلامية : ضوابط وتوجيهات . والعلم . والقواعد المثلى فى صفات الله وأسمائه الحسنى ، والقول المفيد على كتاب التوحيد ، وشرح العقيدة الواسطية ، وشرح أصول الإيمان ، وتفسير آية الكرسى ، وتقريب التدمرية ، وشرح كشف الشبهات . وتسهيل الفرائض . وحقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة .

ورسائل فى العقيدة . ورسالة إلى الدعاة . وشرح لمعة الاعتقاد الهادى إلى سبيل الرشاد . ومصطلح الحديث ، وشرح المنظومة البيقونية فى علم مصطلح الحديث . وعقيدة أهل السنة والجماعة . وفتح رب البرية بتخليص الحموية "وهو أول كتاب طبع لسماحته" .

أولاده:

عبد الله ، وعبد الرحمن ، وإبراهيم ، وعبد العزيز ، وعبد الرحيم ، والشيخ رحمه الله تزوج زوجة واحدة .

مرضه ووفاته:

توفى الشيخ - رحمه الله - يوم الأربعاء الموافق الخامس عشر من شوال ١٤٢١هـ بعد معاناة وصراع مع المرض الشديد والألم المرير ، حتى نزل وزنه إلى ٣٨ ك ، وصارت درجة المناعة عنده صفراً ، وقد أصر الشيخ - رحمه الله - على إلقاء دروسه المعتادة فى الحرم المكى هذا العام بالرغم من معاناته الشديدة للمرض .

فنسأل الله ﷻ أن يتغمده برحمته ، وأن يعلى قدره ومنزلته ، ويحشره مع الصالحين والشهداء .

* * * * * * * * * * *

المقدمـــة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ،

فهذا شرح يسير على كتاب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب المسمى "كشف الشبهات" والذي أورد فيه المؤلف بضع عشرة شبهة لأهل الشرك وأجاب عنها بأحسن إجابة مدعمة بالدليل مع سهولة المعنى ووضوح العبارة أسأل الله تعالى أن يثيبه على ذلك وأن ينفع بذلك العباد إنه على كل شيء قدير .

محمد بن صالح العثيمين

* * * * * * * * * * *

(تنبيه : تم وضع التخريجات والتعليقات فى ثنايا الكتاب باللون الأحمر)

بســـم [1] الله [2] ، الـــرحمن [3] الرحـــيم [4] ....

(١) ابتدأ المؤلف - رحمه الله تعالى - كتابه بالبسملة إقتداء بكتاب الله - ﷻ - فإنه مبدوء بالبسملة ، وإقتداء برسول الله ﷺ ، فإنه يبدأ كتبه ورسائله بالبسملة .

والجار والمجرور متعلق بفعل محذوف مؤخر مناسب للمقام .

تقديره : بسم الله أكتب .

وقدرناه فعلاً لأن الأصل في العمل الأفعال .

وقدرناه مؤخراً لفائدتين :

الأولى: التبرك بالبداءة باسم الله تعالى .

الثانية: إفادة الحصر لأن تقديم المتعلق يفيد الحصر .

وقدرناه مناسباً لأنه أدل على المراد فلو قلنا مثلاً عندما نريد أن نقرأ كتاباً بأسم الله نبتدئ ، لكن بسم الله نقرأ أدل على المراد .

(٢) لفظ الجلالة علم على الباري جل وعلا وهو الأسم الذي تتبعه جميع الأسماء حتى إنه في قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ [سورة إبراهيم ، الآيتان: ١، ٢] لا نقول إن لفظ الجلالة (الله) صفة بل نقول هي عطف بيان لئلا يكون لفظ الجلالة تبعاً تبعية النعت للمنعوت ، ولهذا قال العلماء أعرف المعارف لفظ (الله) لأنه لا يدل على أحد سوى الله - ﷻ - .

(٣) الرحمن أسم من الأسماء المختصة بالله لا يطلق على غيره ومعناه: المتصف بالرحمة الواسعة .

(٤) الرحيم أسم يطلق على الله - وعلى غيره .

أعلم (١) رحمك الله (٢) أن التوحيد هو إفراد الله - سبحانه - . . . . . .

ومعناه: ذو الرحمة الواصلة ، فالرحمن ذو الرحمة الواسعة ، والرحيم ذو الرحمة الواصلة ، فإذا جمعا صار المراد بالرحيم الموصل رحمته إلى من يشاء من عباده كما قال الله تعالى: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَيَرْحَمُ مَن يَشَاء وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾ .

(١) العلم هو "إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً" .

ومراتب الإدراك: -

الأولى: العلم وتقدم تعريفه .

الثانية: الجهل البسيط وهو "عدم الإدراك بالكلية" .

الثالثة: الجهل المركب وهو "إدراك الشيء على وجه يخالف ما هو عليه" وسمي مركباً لأنه جهلان: جهل الإنسان بالواقع ، وجهله بحاله حيث ظن أنه عالم وليس بعالم .

الرابعة: الوهم وهو "إدراك الشيء مع إحتمال ضد راجح" .

الخامسة: الشك وهو "إدراك الشيء مع احتمال ضد مساو" .

السادسة: الظن وهو "إدراك الشيء مع إحتمال ضد مرجوح" .

والعلم ينقسم إلى قسمين : ضروري ونظري :

فالضروري ما يكون إدراك المعلوم فيه ضرورياً بحيث يضطر إليه من غير نظر ولا استدلال كالعلم بأن النار حارة مثلاً .

والنظري ما يحتاج إلى نظر واستدلال كالعلم بوجوب النية في الوضوء .

(٢) أي أفاض الله عليك من رحمته التي تحصل بها على مطلوبك وتنجو من محذورك ، فالمعنى غفر الله لك ما مضى من ذنوبك ، ووفقك وعصمك فيما يستقبل

بالعبادة [1] ، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى . . . .

منها ، هذا إذا أفردت الرحمة ، أما إذا قرنت بالمغفرة فالمغفرة لما مضى من الذنوب ، والرحمة التوفيق للخير والسلامة من الذنوب في المستقبل . وصنيع المؤلف - رحمه الله- يدل على شفقته وعنايته بالمخاطب .

(١) التوحيد لغة: مصدر وحد يوحد ، أي جعل الشيء واحداً ، وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات ،نفي الحكم عما سوى الموحد ، وإثباته له لأن النفي وحده تعطيل ، والإثبات وحده لا يمنع المشاركة ، فمثلاً لا يتم للإنسان التوحيد حتى يشهد أن لا إله إلا الله فينفي الألوهية عما سوى الله تعالى ويثبتها لله وحده .

وفي الاصطلاح عرف المؤلف - رحمه الله تعالى - التوحيد بقوله "التوحيد هو إفراد الله - ﷻ - بالعبادة" أي أن تعبد الله وحده ولا تشرك بل تفرده وحده بالعبادة محبة وتعظيماً ورغبة ، ورهبة .

ومراد الشيخ - رحمه الله تعالى - التوحيد الذي بعثت الرسل" لتحقيقه لأنه هو الذي حصل الإخلال به والخلاف بين الرسل وأممهم .

وهناك تعريف أعم للتوحيد وهو: "إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به" **وأنواعه ثلاثة:**

الأول: توحيد الربوبية وهو " إفراد الله تعالى بالخلق ، والملك ، والتدبير" قال الله ﷻ ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [سورة الزمر ، الآية: ٦٢]. وقال تعالى: ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ [سورة فاطر ، الآية: ٣]. وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة الملك ، الآية: ١] ، وقال تعالى ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ . [سورة الأعراف ، الآية: ٥٤].

عباده [١] .

الثاني: توحيد الألوهية وهو "إفراد الله تعالى بالعبادة بأن لا يتخذ الإنسان مع الله أحداً يعبده كما يعبد الله أو يتقرب إليه كما يتقرب إلى الله تعالى" .

الثالث: توحيد الأسماء والصفات وهو "إفراد الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته الواردة في كتاب وسنة رسوله ﷺ ، وذلك بإثبات ما أثبته ، ونفي ما نفاه من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ، ولا تمثيل" .

(١) مراد الشيخ - رحمه الله تعالى - هنا توحيد الألوهية فهو دين الرسل فكلهم أرسلوا بهذا الاصل الذي هو التوحيد كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾ [سورة النحل ، الآية: ٣٦] .

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [سورة الأنبياء ، الآية: ٢٥] وهذا النوع هو الذي ضل فيه المشركون الذين قاتلهم النبي ﷺ ، واستباح دماءهم وأموالهم ، وأرضهم وديارهم وسبى نساءهم وذريتهم .

ومن أخل بهذا التوحيد فهو مشرك كافر وإن أقر بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات .

فإفراد الله وحده بالعبادة هو دين الرسل الذين أرسلهم الله به إلى عباده كما قال الشيخ - رحمه الله - فها هو أول الرسل نوح عليه السلام يقول كما حكى الله عنه: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ ﴾ [سورة هود ، الآيتان: ٢٥ : ٢٦] وقال تعالى: ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [سورة هود ، الآيتان: ٥٠] وقال تعالى: ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [سورة هود ، الآية: ٦١] وقال تعالى: ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ

فأولهم نوح عليه السلام [١] ، أرسله الله إلى قومه لما غلوا [٢] .

أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [سورة هود ، الآية: ٨٤].

(١) هذا حق فإنه لم يبعث قبل نوح عليه الصلاة والسلام رسول وبهذا نعلم خطأ المؤرخين الذين قالوا إن إدريس عليه الصلاة والسلام كان قبل نوح لأن الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ﴾ [سورة النساء ، الآية: ١٦٣] وفي الحديث الصحيح في قصة الشفاعة "أن الناس يأتون إلى نوح فيقولون له أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض" فلا رسول قبل نوح بإجماع العلماء .

فنوح أول الرسل بالكتاب ، والسنة ، والإجماع .

ونوح عليه الصلاة والسلام أحد الرسل الخمسة الذين هم أولوا العزم وهم: محمد ﷺ ، وإبراهيم ، وموسى ، ونوح ، وعيسى عليهم الصلاة والسلام وقد ذكرهم الله في موضعين من كتابه في سورة الأحزاب وسورة الشورى .

(٢) يعني أن الله أرسل نوحاً عليه الصلاة والسلام إلى قومه لما وقع فيهم الغلو في الصالحين ، وقد بوب المؤلف - رحمه الله - في كتاب التوحيد على هذه المسألة فقال: "باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين" . والغلو هو: "مجاوزة الحد في التعبد والعمل والثناء قدحاً أو مدحاً" والغلو ينقسم إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: الغلو في العقيدة كغلو أهل الكلام في الصفات حتى أدى بهم إما إلى التمثيل ، أو التعطيل . والوسط مذهب أهل السنة والجماعة بإثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسول الله ﷺ من الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل .

القسم الثاني: الغلو في العبادات كغلو الخوارج الذين يرون كفر فاعل الكبيرة وغلو المعتزلة حيث قالوا إن فاعل الكبيرة بمنزلة بين المنزلتين وهذا التشدد قابله تساهل

في الصالحين [١]: ودا ، وسواعاً ، ويغوث ، ويعوق ،ونسرا [٢] ، وآخر الرسل

المرجئة حيث قالوا لا يضر مع الإيمان ذنب . والوسط مذهب أهل السنة والجماعة أن فاعل المعصية ناقص الإيمان بقدر المعصية .

القسم الثالث: الغلو في المعاملات وهو التشدد بتحريم كل شيء وقابل هذا التشدد تساهل من قال بحل كل شيء ينمي المال والاقتصاد حتى الربا والغش وغير ذلك .

والوسط أن يقال تحل المعاملات المبنية على العدل وهي ما وافق ما جاءت به النصوص من الكتاب والسنة .

القسم الرابع: الغلو في العادات وهو التشدد في التمسك بالعادات القديمة وعدم التحول إلى ما هو خير منها . أما أن كانت العادات متساوية في المصالح فإن كون الإنسان يبقى على ما هو عليه خير من تلقي العادات الوافدة .

(١) الصالح هو الذي قام بحق الله وبحق عباد الله .

(٢) هذه أصنام في قوم نوح عليه السلام كانوا رج إلا صالحين ، وقد جاء في صحيح البخاري عن أبن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى إذ هلك أولئك ونسي العلم عبدت" .

وهذا التفسير فيه إشكال حيث يقول رضي الله عنه "هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، وظاهر القرآن أنها قبل نوح قال الله تعالى: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا * وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا * وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ . لسورة نوح ، الآيات:

محمد ، ﷺ (١) .

وهو كسر صور هؤلاء الصالحين (٢) أرسله إلى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً (٣) ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين

---

٢١ - ٢٣] فظاهر الآية يدل على ما ذكره ابن عباس . إلا أن ظاهر السياق أن هؤلاء القوم الصالحين كانوا قبل نوح عليه السلام والله أعلم .

(١) دليل هذا قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [سورة الأحزاب ، الآية: ٤٠]. فلا نبي بعد النبي محمد ﷺ .

فإن قيل: إن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ينزل آخر الزمان وهو رسول .

فنقول: هذا حق ولكنه لا ينزل على أنه رسول مجدد بل ينزل على أنه حاكم بشريعة النبي محمد عليه الصلاة والسلام لأن الواجب على عيسى وعلى غيره من الأنبياء الإيمان بمحمد ﷺ ، وإتباعه ونصره كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية: ٨١] . وهذا الرسول المصدق لما معهم وهو محمد ﷺ كما صح ذلك عن الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنه ، وغيره .

(٢) أي أن النبي ﷺ ، كسر صور الأصنام وذلك يوم الفتح حين دخل الكعبة فوجد حولها وفيها ثلثمائة وستين صنماً وجعل يطعنها عليه الصلاة والسلام بالحربة وهو يتلو قوله تعالى: ﴿ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [سورة الإسراء الآية: ٨١] .

(٣) أي أن الله بعث رسوله محمداً عليه الصلاة والسلام إلى قوم يتعبدون لكنها عبادة باطلة ما أنزل بها من سلطان ، ويتصدقون ويفعلون كثيراً من أمور الخير لكنها لا

الله ، يقولون نريد منهم التقرب إلى الله ونريد شفاعتهم عنده مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين [١] فبعث الله محمداً ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام السلام ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله تعالى ولا يصلح منه شيء لغير الله ، لا لملك مقربٍ ولا لنبي مرسلٍ فضلاً عن غيرهما [٢] وإلا

تنفعهم ، لأنهم كفار ، ومن شرط التقرب إلى الله تعالى أن يكون المتقرب إلى الله مسلماً وهؤلاء غير مسلمين .

(١) أي أنهم يعبدون هذه الأصنام لتقربهم إلى الله زلفى فهم مقرون بأنها دون الله ، وأنها لا تملك لهم نفعاً ولا ضراً ، وأنهم شفعاء لهم عند الله - وأنهم شفعاء لهم عند الله - ﷻ - ولكن هذه الشفاعة شفاعة باطلة لا تنفع أصحابها لأن الله - ﷻ - يقول: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [سورة المدثر الآية: ٤٨]. وذلك لن الله تعالى لا يرضى لهؤلاء المشركين شركهم ، ولا يمكن أن يأذن بالشفاعة لهم ؛ لأنه لا شفاعة إلا لمن ارتضاه الله - ﷻ - والله لا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد ، فتعلق المشركين بآلهتهم يعبدونها ويقولون: ﴿هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ﴾ [سورة يونس ، الآية ١٨] تعلق باطل غير نافع بل هذا لا يزيدهم من الله تعالى إلا بعداً ، على أن المشركين يرجون شفاعة أصنامهم بوسيلة باطلة وهي عبادة هذه الأصنام ، وهذا من جهلهم وسفههم أن يحاولوا التقرب إلى الله تعالى لا يزيدهم منه إلا بعداً .

(٢) يقول المؤلف - رحمه الله تعالى - إنهم ما زالوا على هذا الكفر وهو عبادة هذه الأصنام لتقربهم بزعمهم إلى الله تعالى حتى بعث الله رسوله وخاتم أنبيائه محمداً ﷺ بعثه الله تعالى بالتوحيد الخالص يدعو الناس إلى عبادة الله الواحد ويحذرهم من الشرك قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [سورة المائدة ، الآية: ٧٢] ويبين لهم أن العبادة حق لله وحده ، وأنه لا يجوز صرف شيء منها لغيره سبحانه وتعالى لا لملك مقرب ، ولا لنبي مرسل فضلاً عن

فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له ، وانه لا يرزق إلا هو ، ولا يحيي ولا يميت إلا هو ، ولا يدبر الأمر إلا هو ، وأن جميع السماوات ومن فيهن ، والأرضين السبع ومن فيهن ؛ كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره[١] .

غيرهما فقال تعالى: ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم﴾ . [سورة يس ، الآيتان: ٦٠ - ٦١]. وقوله: "يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم كأنه يشير إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة النحل ، الآية ١٢٣]. وقوله: "محض حق الله" . أي خالص حقه .

(١) يقول - رحمه الله تعالى - إن هؤلاء المشركين الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ يقرون بأن الله وحده هو الخالق ، وأنه هو الذي خلق السماوات والأرض ، وأنه هو الذي خلقهم ، وأنه هو المدبر للأمور كما ذكر الله عنهم في آيات عديدة من القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة الزخرف ، الآية: ٩]. و قوله تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [سورة الزخرف . آية ٨٧] والآيات في هذا المعنى كثيرة ، لكن هذا لا ينفعهم ؛ لأن هذا إقرار بالربوبية فقط ، ولا ينفع الإقرار بالربوبية حتى يكون معه الإقرار بالألوهية وعبادة الله وحده . واعلم أن الإقرار بالربوبية يستلزم الإقرار بالألوهية ، وأن الإقرار بالألوهية متضمن الإقرار بالربوبية .

أما الأول: فهو دليل ملزم أي أن الإقرار دليل ملزم لمن أقر به أن يقر بالألوهية لأنه إذا كان الله وحده هو الخالق وهو المدبر للأمور وهو الذي بيده ملكوت كل شيء فالواجب أن تكون العبادة له وحده لا لغيره .

والثاني: متضمن للأول يعني أن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية لنه لا يتأله إلا للرب - ﷻ - الذي يعتقد أنه هو الخالق وحده وهو المدبر لجميع الأمور

فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله ، ﷺ ، يشهدون بهذا[١] فاقرأ قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾[٢] [سورة يونس ، الآية: ٣١].

وقوله: ﴿ قُل لِّمَنِ الأَرْضُ[٣] وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ

سبحانه وتعالى .

(١) ذكر المؤلف - رحمه الله - هنا دليل ما قرر أن هؤلاء يقرون بتوحيد الربوبية ولكنه أتى به على سبيل السؤال والجواب ليكون هذا أمكن وأثبت وأتم في الاستدلال فقال: "فإذا أردت الدليل ...... فاقرأ قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ الآية .

(٢) ﴿ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾ يعني إذا كنتم تقرون بهذا أفلا تتقون الله الذي أقررتم له بتمام الملك وتمام التدبير وأنه وحده الخالق الرازق المالك للسمع والأبصار ، المخرج للحي من الميت ، وللميت من الحي المدبر لجميع الأمور ، وهذا الاستفهام للتوبيخ والإلزام ، أي أنكم إذا أقررتم بذلك لزمكم أن تتقوا الله وتعبدوه وحده لا شريك له .

(٣) وقوله يعني واقرأ قوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا ﴾ إلى آخر الآيات وهذه الآيات مما يدل على أن المشركين الذين بعث فيهم النبي ﷺ يقرون بتوحيد الربوبية فإنهم يقرون بأن الأرض ومن فيها لله لا شريك له ، ويقرون بأن الله هو الذي خلق السموات والأرض ، وأنه رب العرش العظيم ، ويقرون بأن بيده ملكوت كل شيء ، وأنه هو الذي يجير ولا يجار عليه ، وكل هذا ملزم لهم بأن يعبدوا الله وحده ويفردوه بالعبادة ، ولهذا جاء توبيخهم بصيغة الاستفهام في ختام كل آية من الآيات الثلاث .

تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ * قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ [سورة المؤمنون ، الآيات: ٨٤ - ٨٩] وغير ذلك من الآيات .

فإذا تحققت أنهم [١] مقرون بهذا [٢] ولم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ [٣] وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا: "الاعتقاد" [٤] .

كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلاً ونهاراً ، ثم منهم من يدعوا الملائكة لأجل

والآيات الدالة على أن المشركين الذين بعث فيهم النبي ﷺ يقرون بتوحيد الربوبية كثيرة .

(١) أي الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ من المشركين .

(٢) يعني توحيد الربوبية وهو اعتقاد أن الله وحده هو الخالق المالك المدبر لجميع الأمور .

(٣) أي أن إيمانهم بأن الله هو الخالق المالك المدبر لجميع الأمور لم يدخلهم في توحيد العبادة الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ وعلى آله وسلم ولم يعصم دماءهم وأموالهم .

(٤) أي إذا عرفت أن الذي أنكروه هو توحيد العبادة الذي يسميه كما قال الشيخ - رحمه الله - مشركوا زماننا "الاعتقاد" تبين لك أن هذا الذي أقروا به لا يكفي في التوحيد بل ولا يكفي في الإسلام كله فإن من لم يقر بتوحيد العبادة فإنه ليس بمسلم حتى ولو أقر بتوحيد الربوبية ولهذا قاتل النبي ﷺ .

المشركين مع أنهم يقرون بتوحيد الربوبية كما تقدم .

صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له ، أو يدعو رجلاً صالحاً مثل : اللات ، أو نبياً مثل عيسى[١] .

وعرفت[٢] أن رسول الله ﷺ ، قاتلهم على هذا الشرك[٣] ودعاهم إلى إخلاص

---

(١) يعني أن هؤلاء المشركين في عبادة الله كانوا يدعون الله تعالى إذا اضطروا إلى ذلك ، ومنهم من يدعوا الملائكة لقربهم من الله - ﷻ - ، ويزعمون أن من قرب من الله سبحانه وتعالى فهو مستحق للعبادة وهذا من جهلهم فإن العبادة حق الله وحده لا يشركه فيها أحد .

وأن منهم من يدعو اللات ، واللات بالتشديد أسم فاع من اللت ، وأصله رجل كان يلت السويق للحجاج ، أي جعل فيه السمن ويطعمه الحجاج فلما مات عكفوا على قبره ثم عبدوه ، وأن منهم من يعبد المسيح عليه الصلاة والسلام السلام لكونه آية من آيات الله ، وأن منهم من يعبد الأولياء لقربهم من الله سبحانه وتعالى ، وكل هذا تزيين الشيطان لهم أعمالهم التي ضلوا بها عن الصراط المستقيم قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ [سورة الكهف ، الآيات : ١٠٣ - ١٠٥] .

(٢) هذه معطوفة على قوله "فإذا تحققت" .

(٣) أي الشرك في العبادة حيث كانوا يعبدون غير الله معه وليس المراد الشرك في الربوبية ؛ لأن المشركين الذين بعث فيهم النبي ﷺ كانوا يؤمنون بان الله وحده هو الرب وأنه مجيب دعوة المضطرين وأنه هو الذي يكشف السوء إلى غير ذلك مما ذكر الله عنهم من إقرارهم بربوبية الله - ﷻ - وحده .

فالنبي ﷺ قاتل هؤلاء المشركين الذين لم يقروا بتوحيد العبادة بل أستحل دماءهم

العبادة لله وحده [١] كما قال الله تعالى: ﴿فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ وكما قال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ [٢] [سورة الرعد ، الآية: ١٤].

وتحققت [٣] أن رسول الله ، ﷺ ، قاتلهم ليكون الدعاء كله لله [٤] ، والذبح كله

وأموالهم وإن كانوا يقرون بأن الله وحده هو الخالق لأنهم لم يعبدوه ولم يخلصوا له العبادة .

(١) الإخلاص لله معناه: "أن يقصد المرء بعبادته التقرب إلى الله سبحانه وتعالى والوصول إلى دار كرامته" .

(٢) يعني أن هذه الأصنام التي يدعونها من دون الله لا تستجيب لهم بشيء كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ .

[سورة الأحقاف ، الآية: ٥].

(٣) قوله: "وتحققت" معطوف على قوله فإذا تحققت .

(٤) الدعاء على نوعين:

الأول: دعاء عبادة بأن يتعبد للمدعو طلباً لثوابه وخوفاً من عقابه ، وهذا لا يصح لغير الله وصرفه لغير الله شرك أكبر مخرج من الملة ، وعليه يقع الوعيد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [سورة النمل الآية: ٨٧].

النوع الثاني: دعاء المسألة وهو دعاء الطلب أي طلب الحاجات وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

لله [1] ، ....

القسم الأول: دعاء الله سبحانه وتعالى بما لا يقدر عليه الصلاة والسلام إلا هو وهو عبادة لله تعالى لأنه يتضمن الأفتقار إلى الله تعالى واللجوة إليه ، واعتقاد أنه قادر كريم واسع الفضل والرحمة ، فمن دعا غير الله - ﷻ - بشيء لا يقدر عليه الصلاة والسلام إلا اله فهو مشرك كافر سواء كان المدعو حياً أو ميتاً .

القسم الثاني: دعاء الحي بما يقدر عليه الصلاة والسلام مثل يا فلان اسقني فلا شيء فيه .

القسم الثالث: دعاء الميت أو الغائب بمثل هذا فإنه شرك لأن الميت أو الغائب لا يمكن أن يقوم بمثل هذا فدعاؤه إياه يدل على أنه يعتقد أن له تصرفاً في الكون فيكون بذلك مشركاً .

(١) الذبح : "إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص" .

ويقع على وجوه :

الأول: أن يقصد به تعظيم المذبوح له والتذلل له والتقرب إليه فهذا عبادة لا يكون إلا لله تعالى على الوجه الذي شرعه الله تعالى ، وصرفه لغير الله شرك أكبر لقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ ﴾ .

[سورة الأنعام ، الآية : ١٦٢] .

الثاني: أن يقصد به إكرام الضيف ، أو وليمة لعرس ونحو ذلك فهذا مأمور به إما وجوباً أو إستجاباً لقوله ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» [رواه البخاري في "الرقائق" (٦٤٧٥) باب حفظ اللسان عن أبي هريرة رضي الله عنه . ورواه (٦٤٧٦) عن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه] . لعبد الرحمن بن عوف حين تزوج «أو لم ولو بشاة» [رواه البخاري في النكاح (٥١٦٧) باب الوليمة ولو شاة . من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه]

والنذر كله لله [١] والاستغاثة كلها بالله [٢] جميع أنواع العبادات كلها لله ، . . . . . .

الثالث: أن يقصد به التمتع بالأكل أو الاتجار به ونحو ذلك فهذا من قسم المباح فالأصل فيه الإباحه لقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾ [سورة يس ، الآيتان: ٧١، ٧٢] وقد يكون مطلوباً أو منهياً عنه حسبما يكون وسيلة له .

(١) النذر يطلق على العبادات المفروضة عموماً ، ويطلق على النذر الخاص وهو إلزام الإنسان نفسه بشيء لله ﷻ والمراد به هنا الأول فالعبادات كلها لله تعالى لقوله تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ [سورة الإسراء الآية: ٢٣].

(٢) الإستغاثة: طلب الغوث والإنقاذ من الشدة والهلاك .

وهو أقسام:

الأول: الإستغاثة بالله ﷻ وهذا من أفضل الأعمال وأكملها وهو دأب الرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم ودليله قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ . [سورة الأنفال الآية: ٩].

الثاني: الإستغاثة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على الإغاثة فهذا شرك ، لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفياً في الكون فيجعل لهم حظاً من الربوبية ، قال الله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ . [سورة النمل ، الآية: ٦٢].

الثالث: الإستغاثة بالأحياء العالمين القادرين على الإغاثة فهذا جائز كالاستعانة بهم ، قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾ [سورة القصص ، الآية: ١٥].

الرابع: الإستغاثة بحي غير قادر من غير أن يعتقد أن له قوة خفية مثل أن

وعرفت(١) أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام ، وأن قصدهم الملائكة ، والأنبياء الأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى اله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم ، عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون(٢) .

وهذا التوحيد هو معنى قولك: "لا إله إلا الله" (٣) فإن الإله عندهم هو الذي

يستغيث بمشلول على دفع عدو صائل . فهذا لغو وسخرية بالمستغاث به ، فيمنع لهذه العلة ولعلة أخرى وهي أنه ربما أغتر بذلك غيره فتوهم أن لهذا المستغاث به وهو عاجز أن له قوة خفية ينقذ بها من الشدة .

(١) قوله "وعرفت" معطوف على "تحققت" الأولى .

وقوله "عرفت جواب " فإذا تحققت" وما عطف عليها .

(٢) قرر المؤلف - رحمه الله - أن التوحيد الذي جاءت به الرسل من الله هو توحيد الألوهية لأن هؤلاء المشركين الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ كانوا يقرون بتوحيد الربوبية ومع هذا إستباح النبي ﷺ دماءهم وأموالهم على أنهم يعبدون الملائكة وغيرهم مما يعبدونهم من الأولياء والصالحين يريدون بذلك أن يقربوهم إلى الله وهي كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [سورة الزمر ، الآية: ٣] فهم مقرون بأن اللهو هو المقصود ولكنهم يقصدون الملائكة وغيرهم ليقربوهم إلى الله ومع ذلك لم يدخلهم في التوحيد .

(٣) قوله: وهذا التوحيد هو معنى قولك "لا إله إلا الله" أي أن التوحيد هو الذي دعا إليه النبي ﷺ هو معنى (لا إله إلا الله) أي: لا معبود حق إلا الله - ﷻ - فهم يعلمون أن معناها لا معبود حق إلا الله - ﷻ ، وليس معناها لا خالق ، أو لا رازق ، أو لا مدبر إلا الله ، أو لا قادر على الإختراع إلا الله كما يقوله كثير من المتكلمين فإن

يقصد لأجل هذه الأمور سواء كان ملكاً ، أو نبياً أو ولياً ،أو شجرة أو قبراً ، أو جنياً لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك ، وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ (السيد) فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد وهي "لا إله إلا الله"(١) .

والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها (٢) والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالتعلق به ، والكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه فإنه لما قال لهم قولوا: "لا إله إلا الله" قالوا: ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ (٣) [سورة ص ، الآية: ٥].

هذا المعنى لا ينكره المشركون ولا يردونه ، وإنما يردون معنى "لا إله إلا الله" أي لا معبود حق إلا الله كما قال تعالى عنهم: ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاَقٌ ﴾ .[سورة ص ، الآيات: ٥ - ٧].

(١) يريد رحمه الله بيان أن المشركين لا يريدون بقول لا إله إلا الله ، لأنهم يعرفون أن ذلك حق وإنما ينكرون معناها لا معبود حق إلا الله ، وهذا الذي بدأ به المؤلف وأعاد ، إنما قاله للتأكيد والرد على من يقول: إننا لا نعبد الملائكة أو غيرهم إلا من أجل أن يقربونا إلى الله زلفى ، ولسنا نعتقد أنهم يخلقون أو يرزقون .

(٢) قوله: "من هذه الكلمة" أي قول: (لا إله إلا الله) .

(٣) هذه الجملة كالتي قبلها يبين فيها - رحمه الله - أن معنى لا إله إلا الله لا معبود حق إلا الله ، وأن المشركين قد فهموا هذا منها ،وعلموا أنه ليس المراد بها مجرد لفظها ، وأن المراد بها لا معبود حق إلا الله ، ولهذا أنكروه مع أنهم لا ينكرون أن الله وحده هو الخالق الرازق .

فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك (١) فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال.

الكفار (٢) بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير إعتقاد القلب لشيء من المعاني ، والحاذق منهم يظن أن معناها "لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمر إلا الله" فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى "لا إله إلا الله".

إذا عرفت ما ذكرت لك معرفة قلب (٣) ، وعرفت الشرك بالله الذي قال الله

---

(١) أي يعرفون أن معنى لا إله إلا الله ، لا معبود حق إلا الله .

(٢) يريد المؤلف - رحمه الله - أن يبين أن من الناس من يدعي الإسلام ولا يعرفون معنى كلمة "لا إله إلا الله" حيث يظنون أن المقصود هو التلفظ بحروفها دون معرفة معناها وإعتقاده . ومن الناس من يظن أن المراد بها توحيد الربوبية أي لا خالق إلا الله ، ولا رازق إلا الله .

ومن الناس من يفسرها بأن المراد بها "إخراج اليقين الصادق عن ذات الأشياء ، وإدخال اليقين الصادق على ذات الله" وهذا التفسير باطل لم يعرفه السلف الصالح ، وليس المراد به أن تتيقن بالله - ﷻ - وتخرج اليقين من غيره لأن هذا لا يمكن فإن اليقين ثابت في غير الله: ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ [سورة التكاثر ، الآيتان ٦، ٧] . وتيقن الأشياء الواقعة الحسية المعلومة لا ينافي التوحيد .

ومن الناس من يفسرها بأنه "لا معبود إلا الله" وهذا التعريف لا يصح على ظاهرة لأن هناك أشياء عبدت من دون الله - ﷻ - .

فيكون هؤلاء أجهل من الجهال الذين بعث فيهم رسول الله ، ﷺ ، فإنهم كانوا يعرفون من معناها ما لا يعرفه هؤلاء .

(٣) أي عرفت معنى لا إله إلا الله الحقيقي وأن معناها "لا معبود حق إلا الله" .

فيه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء ﴾ [(١)] [سورة النساء، الآية: ٤٨] وعرفت دين الله الذي أرسل به الرسل من أولهم إلى آخرهم الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه [(٢)] وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا [(٣)] أفادك [(٤)] فائدتين [(٥)]: الأولى الفرح بفضل الله ورحمته كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ

---

(١) اختلف أهل العلم - رحمهم الله تعالى - في هذه الآية هل تشمل كل الشرك أم أنها خاصة بالشرك الأكبر.

فمنهم من قال: تشمل كل شرك ولو كان اصغر كالحلف بغير الله فإن الله لا يغفره.

ومنهم من قال: إنها خاصة بالشرك الأكبر فهو الذي يغفره الله.

وشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - أختلف كلامه فمرة قال بالقول الأول ومرة قال بالقول الثاني.

وعلى كل حال يجب الحذر من الشرك مطلقاً، لأن العموم يحتمل أن يكون داخلاً فيه الأصغر لأن قوله: ﴿ إن يُشْرَكْ بِهِ ﴾ أن وما بعدها في تأويل مصدر تقديره "إشراكاً به" فهو نكرة في سياق النفي فتفيد العموم.

(٢) وهو عبادة الله وحده كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٢٥]. وهذا هو الإسلام الذي قال الله فيه: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٨٥]

(٣) أي بمعنى هذه الكلمة مما تقدم ذكره عند قول المؤلف رحمه الله "فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة .. إلخ".

(٤) قوله "أفادك" جواب قوله: "إذا عرفت ما ذكرت لك .. إلخ".

(٥) يحصل ذلك من وجهين:

وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [سورة يونس ، الآية: ٥٨] وأفادك أيضاً الخوف العظيم[١] .

فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل[٢] ، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله كما كان يظن المشركون

الوجه الأول: أن الله تعالى فتح عليك حتى عرفت المعنى الصحيح لهذه الكلمة العظيمة "لا إله إلا الله" . وهذا فضل عظيم من الله ورحمة ، والفرح بمثل هذا مما أمر الله به ودليله ما ذكره المؤلف رحمه الله: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ، وفرح العبد بما أنعم الله عليه الصلاة والسلام من العلم والعبادة من الأمور المحمودة كما جاء في الحديث: «للصائم فرحتان: فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه» [رواه البخاري في "الصوم" (١٩٠٤) باب هل يقول إني صائم إذاشتم . ومسلم في "الصيام" (٢٢٦٣) باب فضل الصيام . وأحمد (٢/٢٧٣) والنسائي في "الصيام" (٤/١٦٣- ١٦٤)].

(١) أي من أن تقع في مثل ما وقع فيه هؤلاء من الجهل بمعناها والخطر العظيم في ذلك .

(٢) تعليقنا على هذه الجملة من كلام المؤلف رحمه الله:

أولاً: لا أظن الشيخ رحمه الله لا يرى العذر بالجهل اللهم إلا أن يكون منه تفريط بترك التعلم مثل أن يسمع بالحق فلا يلتفت إليه ولا يتعلم ، فهذا لا يعذر بالجهل وإنما لا أظن ذلك من الشيخ لأن له كلاماً أخر يدل على العذر بالجهل فقد سئل - رحمه الله تعالى - عما يقاتل عليه؟ فأجاب: أركان الإسلام الخمسة ، أولها الشهادتان ، ثم الأركان الأربعة ؛ فالأربعة: إذا أقر بها ، وتركها تهاوناً ، فنحن وإن قاتلناه على فعلها ، فلا نكفره بتركها ؛ والعلماء أختلفوا في كفر التارك لها كسلاً من غير جحود ؛ ولا نكفر إلا ما أجمع عليه الصلاة والسلام الصلاة والسلام العلماء كلهم ، وهو: الشهادتان .

وأيضاً: نكفره بعد التعريف إذا عرف وأنكر ، فنقول: أعداؤنا معنا على أنواع:

النوع الأول: من عرف أن التوحيد دين الله ورسوله ، الذي أظهرناه للناس ؛ واقر أيضاً: أن هذه الإعتقادات في الحجر ، والشجر والبشر ، الذي هو دين غالب الناس: أنه الشرك بالله الذين بعث الله رسوله ﷺ ينهى عنه ، ويقاتل أهله ، ليكون الدين كله لله ، ومع ذلك لم يلتفت إلى التوحيد ، ولا تعلمه ، ولا دخل فيه ، ولا ترك الشرك ، فهو كافر ، نقاتله بكفره ، لأنه عرف دين الرسول ، فلم يتبعه ، وعرف الشرك فلم يتركه ، مع أنه لا يبغض دين الرسول ، ولا من دخل فيه ولا يمدح الشرك ، ولا يزينه للناس.

النوع الثاني: من عرف ذلك ، ولكنه تبين في سب دين الرسول ، مع إدعائه أنه عامل به ، وتبين في مدح من عبد يوسف ، والأشقر ، ومن عبد أبا علي ، والخضر من أهل الكويت ، وفضلهم على من وحد الله ، وترك الشرك ، فهذا أعظم من الأول ، وفيه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة البقرة ، الآية: ٨٩] وهو ممن قال الله فيه: ﴿وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ [سورة التوبة ، الآية: ١٢].

النوع الثالث: من عرف التوحيد ، وأحبه ، واتبعه ، وعرف الشرك ، وتركه ولكن يكره من دخل في التوحيد ، ويحب من بقي على الشرك ، فهذا أيضاً كافر ، فيه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [سورة محمد ، الآية ٩].

النوع الرابع: من سلم من هذا كله ، ولكن أهل بلده يصرحون بعداوة أهل التوحيد ، وإتباع أهل الشرك ، وساعين في قتالهم ، ويتعذر بأن ترك وطنه يشق عليه ، فيقاتل أهل التوحيد مع أهل بلده ، ويجاهد بماله ونفسه ، فهذا أيضاً كافر ؛ فإنهم لو يأمرونه بترك صوم ، ولا يمكنه الصيام إلا بفراقهم فعل ؛ ولو يأمرونه بتزوج إمرأة أبيه

ولا يمكنه ذلك إلا بفراقهم فعل ؛ وموافقتهم على الجهاد معهم بنفسه وماله مع أنهم يريدون بذلك قطع دين الله ورسوله أكبر من ذلك بكثير ، كثير ؛ فهذا أيضاً كافر ، وهو ممن قال الله فيهم : ﴿ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ ﴾ - إلى قوله - : ﴿ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾ [سورة النساء ، الآية : ٩١] فهذا الذي نقول .

وأما الكذب والبهتان فمثل قولهم : إنا نكفر بالعموم ، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه ، وإنا نكفر من لم يكفر ، ومن لم يقاتل ، ومثل هذا وأضعاف أضعافه ؛ فكل هذا من الكذب والبهتان ، الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله .

وإذا كنا : لا نكفر من عبد الصنم الذي على عبد القادر ، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي ، وأمثالهما ، لأجل جهلهم ، وعدم من ينبههم ، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ، أو لم يكفر ويقاتل ؟ ﴿ سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة النور ، الآية : ١٦] .

بل نُكَفِّر تلك الأنواع الأربعة ، لأجل محادتهم لله ورسوله ، فرحم الله إمرءاً نظر نفسه ، وعرف أنه ملاق الله ، الذي عنده الجنة والنار ؛ وصلى الله على محمد وآله وصحبه ، وسلم .

(*) تتمة:

الاختلاف في مسألة العذر بالجهل كغيره من الاختلافات الفقهية الاجتهادية ، وربما يكون اختلافاً لفظيا في بعض الأحيان من أجل تطبيق الحكم على الشخص المعين ، أي أن الجميع يتفقون على أن هذا القول كفر ، أو هذا الفعل كفر ، أو هذا الترك كفر ، ولكن هل يصدق الحكم على هذا الشخص المعين لقيام المقتضى في حقه وانتفاء المانع أو لا ينطبق لفوات بعض المقتضيات ، أو وجود بعض الموانع . وذلك أن

الجهل بالمكفر على نوعين:

الأول: أن يكون من شخص يدين بغير الإسلام أو لا يدين بشيء ولم يكن يخطر بباله أن ديناً يخالف ما هو عليه الصلاة والسلام فهذا تجري عليه الصلاة والسلام أحكام الظاهر في الدنيا، وأما في الآخرة فأمره إلى الله - ﷻ - تعالى - والقول الراجح أنه يمتحن في الآخرة بما يشاء الله - ﷻ - والله أعلم بما كانوا عاملين، لكننا نعلم أنه لن يدخل النار إلا بذنب لقوله - تعالى -: ﴿ وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾. [سورة الكهف، الآية: ٤٩].

وإنما قلنا تجرى عليه الصلاة والسلام أحكام الظاهر في الدنيا وهي أحكام الكفر؛ لأنه لا يدين بالإسلام فلا يمكن أن يعطي حكمه، وإنما قلنا بأن الراجح أنه يمتحن في الآخرة لأنه جاء في ذلك آثار كثيرة ذكرها ابن القيم - رحمه الله تعالى - في كتابه "طريق الهجرتين" عند كلامه على المذهب الثامن في أطفال المشركين تحت الكلام على الطبقة الرابعة عشرة.

النوع الثاني: أن يكون من شخص يدين بالإسلام ولكنه عاش على هذا المكفر ولم يكن يخطر بباله أنه مخالف للإسلام، ولا نبهه أحد على ذلك فهذا تجري عليه الصلاة والسلام أحكام الإسلام ظاهراً، أما في الآخرة فأمره إلى الله - ﷻ - وقد دل على ذلك الكتاب، والسنة، وأقوال أهل العلم:

فمن أدلة الكتاب: قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [سورة الإسراء، الآية: ١٥] وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ [سورة القصص، الآية ٥٩].

وقوله: ﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [سورة النساء، الآية: ١٦٥]. وقوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ

لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [سورة إبراهيم ، الآية: ٤]. وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [سورة التوبة ، الآية: ١١٥] وقوله: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * أَن تَقُولُواْ إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [سورة الأنعام ، الآية: ١٥٥ - ١٥٧] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الحجة لا تقوم إلا بعد العلم والبيان .

وأما السنة: ففي صحيح مسلم ١٣٤/١ عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: "والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة - يعني أمة الدعوة - يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار" .

وأما كلام أهل العلم: فقال في المغني ١٣١/٨ "فإن كان ممن لا يعرف الوجوب كحديث الإسلام ، بغير دار الإسلام ، أو بادية بعيدة عن الأمصار وأهل العلم لم يحكم بكفره" . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوي ٢٢٩/٣ مجموع ابن قاسم: "إني دائماً - ومن جالسني يعلم ذلك مني - من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير ، وتفسيق ، ومعصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة ، وفاسقاً أخرى ، وعاصياً أخرى ، وأني أقرر أن الله - تعالى - قد غفر لهذه الأمة خطأها ، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية ،والمسائل العملية ، وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل ، ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر ، ولا بفسق ، ولا بمعصية - إلى أن قال - وكنت أبين أن ما نقل عن السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا فهو أيضاً حق ، لكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين - إلى أن قال - والتكفير هو من الوعيد فإنه وإن كان

القول تكذيباً لما قاله الرسول ﷺ لكن الرجل قد يكون حديث عهد بإسلام ، أو نشأ ببادية بعيدة ، ومثل هذا لا يكفر ما يجحده ما يجده حتى تقوم عليه الحجة ، وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص أو سمعها ولم تثبت عنده ، أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها وإن كان مخطئاً" أ . هـ . وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ٥٦/١ من الدرر السنية : "وأما التكفير فأنا أكفر من عرف دين الرسول ، ثم بعدما عرفه سبه ، ونهى الناس عنه ، وعادى من فعله فهذا هو الذي أكفره" . وفي ص٦٦ "وأما الكذب والبهتان فقولهم إنا نكفر بالعموم ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه ، فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله ، وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على عبد القادر والصنم الذي على أحمد البدوي وأمثالهم لأجل جهلهم ، وعدم من ينبههم ، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا أو لم يكفر ويقاتل" ا .هـ .

إذا كان هذا مقتضى نصوص الكتاب ، والسنة ، وكلام أهل العلم فهو مقتضى حكمة الله تعالى ، ولطفه ورأفته ، فلن يعذب أحداً حتى يعذر إليه ، والعقول لا تستقل بمعرفة ما يجب لله تعالى من الحقوق ، ولو كانت تستقل بذلك لم تتوقف الحجة على إرسال الرسل .

فالأصل فيمن ينتسب للإسلام بقاء إسلامه حتى يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعي ، ولا يجوز التساهل في تكفيره لأن في ذلك محذورين عظيمين :

أحدهما : افتراء الكذب على الله تعالى في الحكم ، وعلى المحكوم عليه في الوصف الذي نبزه به .

أما الأول فواضح حيث حكم بالكفر على من لم يكفره الله تعالى فهو كمن حرم ما أحل الله ؛ لأن الحكم بالتكفير أو عدمه إلى الله وحده كالحكم بالتحريم أو عدمه .

وأما الثاني فلأنه وصف المسلم بوصف مضاد ، فقال: إنه كافر ، مع أنه بريء من ذلك ، وحري به أن يعود وصف الكفر عليه لما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنه الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: "إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما" وفي رواية: "إن كان كما قال و إلا رجعت عليه" .

وله من حديث أبي ذر - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: "ومن دعا رجلاً بالكفر ، أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه" . يعني رجع عليه . وقوله في حديث ابن عمر: "إن كان كما قال" يعني في حكم الله - تعالى - وهذا هو المحذور الثاني أعني عود وصف الكفر عليه الصلاة والسلام إن كان أخوه بريئاً منه ، وهو محذور عظيم يوشك أن يقع به ؛ لأن الغالب أن من تسرع بوصف المسلم بالكفر كان معجباً بعمله محتقراً لغيره فيكون جامعاً بين الإعجاب بعمله الذي قد يؤدي إلى حبوطه ، وبين الكبر الموجب لعذاب الله - تعالى - في النار كما جاء في الحديث الذي أخرجه أحمد وأبو داود عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «قال الله ﷻ الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار» [صحيح . رواه أحمد (٣٧٦/٢) وأبو داود في "اللباس" (٤٠٩٠) باب ما جاء في الكبر . وابن ماجة في "الزهد" (٤١٧٤) باب البراءة من الكبر والتواضع]

فالواجب قبل الحكم بالتكفير أن ينظر في أمرين:

الأمر الأول: دلالة الكتاب ، والسنة على أن هذا مكفر لئلا يفتري على الله الكذب .

الثاني: انطباق الحكم على الشخص المعين بحيث تتم شروط التكفير في حقه ، وتنتفي الموانع .

ومن أهم الشروط أن يكون عالماً بمخالفته التي أوجبت كفره لقوله

تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [سورة النساء الآية: ١١٥] فاشترط للعقوبة بالنار أن تكون المشاقة لرسول من بعد أن يتبين الهدى له . ولكن هل يشترط أن يكون عالماً بما يترتب على مخالفته من كفر أو غيره أو يكفيأن يكون عالماً بالمخالفة وإن كان جاهلاً بما يترتب عليها؟

الجواب: الثاني ؛ أي أن مجرد علمه بالمخالفة كاف في الحكم بما تقتضيه لأن النبي ﷺ أوجب الكفارة على المجامع في نهار رمضان لعلمه بالمخالفة مع جهله بالكفارة ؛ ولأن الزاني المحصن العالم بتحريم الزنا يرجم وإن كان جاهلاً بما يترتب على زناه ، وربما لو كان عالماً ما زنا .

ومن الموانع من التكفير أن يكره على المكفر لقوله تعالى -: ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة النحل ، الآية: ١٠٦] .

ومن الموانع أن يغلق عليه فكره وقصده بحيث لا يدري ما يقول لشدة فرح ، أو حزن ، أو غضب ، أو خوف ونحو ذلك ، لقوله - تعالى: ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب ، الآية: ٥] وفي صحيح مسلم ٢١٠٤ عن أنس بن مالك - رضي الله عنه الله عنه - أن النبي ﷺ قال: " لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة ، فأنفلتت منه وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك إذا بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة . الفرح: اللهم أنت عبدي ، وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح" .

ومن الموانع أيضاً أن يكون شبهة تأويل في الكفر بحيث يظن أنه على حق ، لأن هذا لم يتعمد الإثم والمخالفة فيكون داخلاً في قوله - تعالى -: ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ [سورة الأحزاب ، الآية: ٥]. ولأن هذا غاية جهده فيكون داخلاً في قوله - تعالى -: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [سورة البقرة ، الآية: ٢٨٦]. قال في المغني ١٣١/٨: " وإن استحل قتل المعصومين وأخذ أموالهم بغير شبهة ولا تأويل فكذلك - يعني يكون كافراً - وإن كان بتأويل كالخوارج فقد ذكرنا أن أكثر الفقهاء لم يحكموا بكفرهم مع استحلالهم دماء المسلمين وأموالهم ، وفعلهم ذلك متقربين به إلى الله تعالى" إلى أن قال "وقد عرف من مذهب الخوارج تكفير كثير من الصحابة ومن بعدهم وإستحلال دماءهم ، وأموالهم ، واعتقادهم التقرب بقتلهم إلى ربهم ، ومع هذا لم يحكم الفقهاء بكفرهم لتأويلهم ، وكذلك يخرج في كل محرم إستحل بتأويل مثل هذا" . وفي فتاوى شيخ الإسلام .

ابن تيمية ٣٠/١٣ مجموع ابن قاسم: "وبدعة الخوارج إنما هي من سوء فهمهم للقرآن ، لم يقصدوا معارضته ، لكن فهموا منه مالم يدل عليه ، فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب" وفي ص ٢١٠ منه " فإن الخوارج خالفوا السنة التي أمر القرآن باتباعها ، وكفروا المؤمنين الذين أمر القرآن بموالاتهم .. وصاروا يتبعون المتشابه من القرآن فيتأولونه على غير تأويله من غير معرفة منهم بمعناه ولا رسوخ في العلم ، ولا إتباع للسنة ، ولا مراجعة لجماعة المسلمين الذين يفهمون القرآن ، وقال أيضاً ٢٨/ ٥١٨ من المجموع المذكور: "فإن الأئمة متفقون على ذم الخوارج وتضليلهم ، وإنما تنازعوا في تكفيرهم على قولين مشهورين" ، لكنه ذكر في ٢١٧/٧ "أنه لم يكن في الصحابة من يكفرهم لا علي بن أبي طالب ولا غيره ، بل حكموا فيهم بحكمهم في المسلمين الظالمين المعتدين كما ذكرت الآثار عنهم بذلك في غير هذا الموضع" . وفي ٢٨/ ٥١٨"أن هذا هو المنصوص عن الأئمة كأحمد وغيره" . وفي ٢٨٢/٣ قال: "والخوارج

خصوصاً إن ألهمك الله تعالى ما قص عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم أنهم أتوه

المارقون الذين أمر النبي ﷺ بقتالهم قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أحد الخلفاء الراشدين ، واتفق على قتالهم أئمة الدين من الصحابة ، والتابعين ، ومن بعدهم ولم يكفرهم علي بن أبي طالب ، وسعد بن أبي وقاص ، وغيرهما من الصحابة ، بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم ، ولم يقاتلهم علي حتى سفكوا الدم الحرام ، وأغاروا على أموال المسلمين فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم ، لا لأنهم كفار ، ولهذا لم يسب حريمهم ، ولم يغنم أموالهم ، وإذا كان هؤلاء الذين ثبت ضلالهم بالنص والإجماع ، لم يكفروا مع أمر الله ورسوله ﷺ بقتالهم فكيف بالطوائف المختلفين الذين اشتبه عليهم الحق في مسائل غلط فيها من هو أعلم منهم ، فلا يحل لأحد من هذه الطوائف أن يكفر الأخرى ، ولا تستحل دمها ومالها ، وإن كانت فيها بدعة محققة ، فكيف إذا كانت المكفرة لها مبتدعة أيضاً ، وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ ، والغالب أنهم جميعاً جهال بحقائق ما يختلفون فيه" . إلى أن قال : "وإذا كان المسلم متأولاً في القتال ، أو التكفير لم يكفر بذلك" . إلى أن قال في ص ٢٨٨ : "وقد أختلف العلماء في خطاب الله ورسوله هل يثبت حكمه في حقل العبيد قبل البلاغ على ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره . . والصحيح ما دل عليه القرآن في قوله – تعالى –: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [سورة الإسراء الآية: ١٥] . وقوله : ﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ . سورة النساء ، الآية ١٦٥] .

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ: "ما أحد أحب إليه العذر من الله ، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين" .

والحاصل أن الجاهل معذور بما يقوله أو يفعله مما يكون كفراً ، كما يكون معذوراً بما يقوله أو يفعله مما يكون فسقاً ، وذلك بالأدلة من الكتاب والسنة ، والإعتبار ، وأقوال أهل العلم .

قائلين: ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ [سورة الأعراف ، الآية ١٣٨]. فحينئذ يعظم خوفك وحرصك على ما يخلصك من هذا وأمثاله (١) .

وأعلم الناس أنه سبحانه من حكمته لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلاجعل له أعداء كما قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (٢) [سورة الأنعام ، الآية: ١١٢].

---

(١) حينما حذر الشيخ - رحمه الله - من أمرين أحدهما خوف الإنسان على نفسه من أن يظن ما ظن هؤلاء في معنى التوحيد أنه هو إفراد الله تعالى بالخلق والرزق والتدبير بين - رحمه الله - أن الواجب على الإنسان أن يكون على خوف دائماً ، ثم يذكر حال القوم الذين قالوا لموسى: ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الأعراف ، الآيتان: ١٣٨ ، ١٣٩].

فبين لهم أن سؤالهم أن يجعل لهم آلهة كما كان هؤلاء لهم آلهة من الجهل فهذا يؤدي إلى خوف الإنسان على نفسه من أن يتيه في الضلالات والجهالات حيث يظن أن معنى "لا إله إلا الله" أي لا خالق ولا رازق ولا مدبر إلا الله - ﷻ - وهذا الذي قاله الشيخ - رحمه الله - وحذر منه وقع فيه عامة المتكلمين الذي تكلموا في التوحيد حيث قالوا إن معنى "لا إله إلا الله" أي لا مخترع ولا قادر على الإختراع إلا الله ففسروا هذه الكلمة العظيمة بتفسير باطل لم يفهمه أحد من المسلمين ، بل ولا غير المسلمين حتى المشركون الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ كانوا يعرفون معنى هذه الكلمة أكثر مما يعرفها هؤلاء المتكلمون .

(٢) نبه المؤلف - رحمه الله تعالى - في هذه الجملة على فائدة عظيمة حيث بين أن من حكمة الله - ﷻ - أنه لم يبعث نبياً إلا جعل له أعداء من الإنس والجن ، وذلك أن وجود العدو يمحص الحق ويبينه فإنه كلما وجد المعارض قويت حجة الآخر ، وهذا

وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج كما قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴾ (١) [سورة غافر الآية: ٨٣].

الذي جعله الله تعالى للأنبياء جعله أيضاً لأتباعهم فكل اتباع الأنبياء يحصل لهم مثل ما يحصل للأنبياء قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ وقال: ﴿ كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٣١] فإن هؤلاء المجرمين يعتدون على الرسل واتباعهم وعلى ما جاءوا به بأمرين:

الأول: التشكيك

الثانية: العدوان.

أما التشكيك فقال الله تعالى في مقابلته: ﴿ كَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ لمن أراد أن يضله أعداء الأنبياء.

وأما العدوان فقال الله تعالى في مقابلته: ﴿ وَنَصِيرًا ﴾ لمن أراد أن يردعه أعداء الأنبياء.

فالله تعالى يهدي الرسل وأتباعهم وينصرهم على أعدائهم ولو كانوا من أقوى الأعداء، فعلينا أن لا نيأس لكثرة الأعداء وقوه من يقاوم الحق فإن الحق كما قال ابن القيم - رحمه الله: الحق منصور وممتحن فلا تعجب فهذي سنة الرحمن فلا يجوز لنا أن نيأس بل علينا أن نطيل النفس وأن ننتظر وستكون العاقبة للمتقين، فالأمل دافع قوي للمضي في الدعوة والسعي في إنجاحها، كما أن اليأس سبب للفشل والتأخر في الدعوة.

(١) يعني أن أعداء الرسل الذين يجادلونهم ويكذبونهم قد يكون عندهم علوم كثيرة وكتب وشبهات يسمونها "حججاً" يلبسون بها على الناس فيلبسون الحق بالباطل كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم

إذا عرفت ذلك ، وعرفت أن الطريق إلى الله لا بد له من أعداء قاعدين عليه الصلاة والسلام ، أهل فصاحة وعلم وحجج ، فالواجب عليك أن تتعلم من دين الله ما يصير لك سلاحاً تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك - ﷻ -: ﴿ لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ (1) [سورة الأعراف ، الآيتان: ١٦ ، ١٧].

مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون ﴾ وهذا الفرح مذموم ؛ لأنه فرح بغير ما يرضي الله فيكون من الفرح المذموم .

وأشار المؤلف - رحمه الله تعالى - بهذه الجملة إلى أنه ينبغي أن نعرف ما عند هؤلاء من العلوم والشبهات من أجل أن نرد عليهم بسلاحهم وهذا من هدي النبي ﷺ ولهذا لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قوماً أهل كتاب» [رواه البخاري في "الزكاة" (١٣٩٥) باب وجوب الزكاة . ومسلم في "الإيمان" (١٢١) باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء له . وأحمد (٢٣٣/١) وأبو داود في "الزكاة" (١٥٨٤) باب زكاة السائمة ، والترمذي في "الزكاة" (٦٢٥) باب ما جاء في كراهية أخذ خيار المال في الصدقة . والنسائي في "الزكاة" (٢/٥) باب وجوب الزكاة . وابن ماجة في "الزكاة" (١٧٨٣) باب فرض الزكاة] وذلك من أجل أن يستعد لهم ويعرف ما عندهم من الكتاب حتى يرد عليهم بما جاءوا به .

(١) إذا عرفت هذا أي أن لهؤلاء الأعداء كتباً وعلوماً وحججاً يلبسون بها الحق بالباطل فعليك أن تستعد لهم ، والاستعداد لهم يكون بأمرين: -

أحدهما: - ما أشار إليه المؤلف - رحمه الله - بان يكون لديك من الحجج الشرعية والعقلية ما تدفع به حجج هؤلاء و باطلهم .

الثاني: أن تعرف ما عندهم من الباطل حتى ترد عليهم به ، ولهذا قال شيخ الإسلام - رحمه الله - في كتابه درء تعارض النقل والعقل ، قال: "إنه ما من إنسان

ولكن إذا أقبلت على الله وأصغيت إلى حججه وبيناته فلا تخف ولا تحزن: ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (١) [سورة النساء ، الآية: ٧٦].

والعامي من الموحدين يغلب ألفا من علماء هؤلاء المشركين كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (٢) [سورة الصافات ، الآية: ١٧٣]. فجند الله لهم

يأتي بحجة يحتج بها على الباطل إلا كانت حجة عليه وليست حجة له". وهذا الأمر كما قال رحمه الله فإن الحجة الصحيحة إذا إحتج بها المبطل على باطله فإنها تكون حجة عليه وليست له ، فعلى من أراد أن يجادل هؤلاء يتأكد أن يلاحظ هذين الأمرين: -

الأمر الأول: - أن يفهم ما عندهم من العلم حتى يرد عليهم به .

والأمر الثاني: - أن يفهم الحجج الشرعية والعقلية التي يرد بها على هؤلاء .

(١) يريد المؤلف - رحمه الله - أن يشجع من أقبل على الله تعالى وعرف الحق بأن لا يخاف من حجج أهل الباطل ؛ لأنها حجج واهية وهي من كيد الشيطان وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ .

وفي ذلك يقول القائل:

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقاً وكل كاسر ومكسور

(٢) قال الشيخ رحمه الله تعالى: "والعامي من الموحدين يغلب ألفاً من علماء هؤلاء المشركين" وأستدل بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ العامي من الموحدين يعني من الذين يقرون بالتوحيد بأنواعه الثلاثة (الألوهية ، والربوبية ، والأسماء والصفات) ، يغلب ألفاً من علماء المشركين ؛ لأن علماء هؤلاء المشركين يوحدون الله - ﷻ - توحيداً ناقصاً حيث إنهم لا يوحدونه إلا بتوحيد الربوبية فقط ، وهذا توحيد ناقص ليس هو توحيداً في الحقيقة بدليل أن النبي ﷺ قاتل المشركين الذي

الغالبون بالحجة واللسان ، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان (١) .

يوحدون الله هذا التوحيد ، ولم ينفعهم هذا التوحيد ولم تعصم به دماءهم وأموالهم ، والعامي من الموحدين يقر بأنواع التوحيد الثلاثة : -

توحيد الربوبية ، والألوهية ، والأسماء والصفات ، فيكون خيراً من هؤلاء .

(١) أشار المؤلف - رحمه الله - إلى أن جند الله وهم عباده المؤمنون الذين ينصرون الله ورسوله يجاهدون الناس بأمرين :

الأول: الحجة والبيان وهذا بالنسبة للمنافقين الذين لا يظهرون عداوة المسلمين فهؤلاء يجاهدون بالحجة والبيان .

الثاني: من يجاهد بالسيف والسنان وهم المظهرون للعداوة وهم الكفار الخلص المعلنون بكفرهم وفي هذا والذي قبله يقول الله - ﷻ-: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ . [سورة التحريم ، الآية: ٩] .

والجهاد بالحجة والبيان يكون للكفار الخلص المعلنين لكفرهم أولاً ، ثم يجاهدون بالسيف ثانياً ، ولا يجاهدون بالسيف والسنان إلا بعد قيام الحجة عليهم .

والواجب على الأمة الإسلامية أن تقابل كل سلاح يصوب نحو الإسلام بما يناسبه ، فالذين يحاربون الإسلام بالأفكار والأقوال يجب أن يبين بطلان ما هم عليه الصلاة والسلام بالأدلة النظرية العقلية إضافة إلى الأدلة الشرعية ، والذين يحاربون الإسلام من الناحية الاقتصادية يجب أن يدافعوا ، بل أن يهاجموا إذا . أمكن ، بمثل ما يحاربون به الإسلام ، والذين يحاربون الإسلام بالأسلحة يجب أن يقاوموا بما يناسب تلك الأسلحة .

وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح [١] .

وقد من الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله : ﴿ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [٢] [سورة النحل ، الآية : ٨٩] .

---

(١) أي أن الخوف من أعداء الأنبياء إنما هو على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح ؛ لأنه ليس له علم يتسلح به فيخشى أن يجادله أحد من هؤلاء المشركين فتضيع حجته فيهلك ، فلابد أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات ويفحم به الخصم ؛ لأن المجادل يحتاج إلى أمرين :

الأول: إثبات دليل قوله .

الثاني: إبطال دليل خصمه .

ولا سبيل إلى ذلك إلا بمعرفة ما هو عليه من الحق ، وما عليه خصمه من الباطل ليتمكن من دحض حجته .

(٢) منَّ الله علينا بكتابه العزيز الذي: ﴿ لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [سورة فصلت ، الآية: ٤٢] وجعله سبحانه وتعالى تبايناً أي مبيناً لكل شيء يحتاجه الناس في معاشهم ومعادهم ثم إن تباين القرآن للأشياء ينقسم إلى قسمين : -

الأول: أن يبين الشيء بعينه مثل قوله تبارك وتعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ﴾ [سورة المائدة ، الآية: ٣] وقوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا

فلا يأتي صاحب باطل إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها ، كما قال تعالــى: ﴿ وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ (١) [سورة الفرقان ، الآية ٣٣] .

---

* وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاء ذَلِكُمْ ﴾ [سورة النساء الآيتان: ٢٣ ، ٢٤] .

الثاني: أن يكون التباين بالإشارة إلى موضع البيان مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [سورة النساء الآية: ١١٣] . فأشار الله تعالى إلى الحكمة التي هي السنة ، فإنها تبين القرآن وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الأنبياء ، الآية: ٧] .

فهذا يبين أننا نرجع في كل شيء إلى أهله الذين هم أهل الذكر به ولهذا يذكر أن بعض أهل العلم أتاه رجل من النصارى يريد الطعن في القرآن الكريم وكان في مطعم فقال له هذا النصراني: أين بيان كيف يصنع هذا الطعام؟ فدعا الرجل صاحب المطعم وقاله له: صف لنا كيف تصنع هذا الطعام؟ فوصفه ، فقال: هكذا جاء في القرآن فتعجب النصراني وقال: كيف ذلك؟ فقال: إن الله - ﷻ - يقول: ﴿ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الأنبياء ، الآية: ١٢] . فبين لنا مفتاح العلم بالأشياء بأن نسأل أهل الذكر بها أي أهل العلم به ، وهذا من بيان القرآن بلا شك فالإحالة على من يحصل بهم العلم هي فتح للعلم .

(١) لا يأتي مبطل بحجة على باطله إلا وفي القرآن ما يبين هذه الحجة الباطلة ، بل إن كل صاحب باطل أستدل لباطله بدليل صحيح من الكتاب والسنة فهذا الدليل يكون دليلاً عليه الصلاة والسلام كما ذكر شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - في مقدمة كتابه درء تعارض النقل والعقل أنه ما من صاحب بدعة وباطل يحتج لباطله بشيء من الكتاب أو من السنة الصحيحة إلا كان ذلك الدليل دليلاً عليه وليس دليلاً له .

قال بعض المفسرين هذه الآية عامة في كل حجة ياتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة ، وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جواباً لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا[١] .

فنقول: جواب أهل الباطل من طريقين: مجمل ، ومفصل ، أما المجمل: - فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها وذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ ﴾[٢] [سورة آل

---

(١) قال المؤلف رحمه الله مستدلاً على أن الرجل الموحد ستكون له حجة أبلغ وأبين من حجة غير الموحد مهما بلغ من الفصاحة والبيان كما قال تعالى: ﴿وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ أي لا يأتونك بمثل يجادلونك به ويلبسون الحق بالباطل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً ولهذا تجد في القرآن كثيراً ما يجيب الله تعالى عن أسئلة هؤلاء المشركين وغيرهم ليبين -ﷻ- للناس الحق وسيكون الحق بيناً لكل أحد .

ولكن هاهنا أمر يجب التفطن له وهو: أنه لا ينبغي للإنسان أن يدخل في مجادلة أحد إلا بعد أن يعرف حجته ويكون مستعداً لدحرها والجواب عنها ، لأنه إذا دخل في غير معرفة صارت العاقبة عليه ، إلا أن يشاء الله كما أن الإنسان لا يدخل في ميدان المعركة مع العدو إلا بسلاح وشجاعة ، ثم ذكر المؤلف رحمه الله أنه سيذكر في كتابه هذا كل حجة أتى بها المشركون ليحتجوا بها على شيخ الإسلام - رحمه الله - ويكشف هذه الشبهات لأنها في الحقيقة ليست حججاً ، ولكنها تشبيه وتلبيس .

(٢) بين رحمه الله تعالى أنه سيجيب على هذه الشبهات بجوابين: -

أحدهما: - مجمل عام صالح لكل شبهة .

الثاني: - مفصل ، وهكذا ينبغي لأهل العلم في باب المناظرة والمجادلة أن يأتوا

عمران ، الآية: ٧].

وقد صح (١) عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال: "إذا رأيتم الذين

بجواب مجمل حتى يشمل ما يحتمل أن يورده الملبسون المشبهون ويأتي بجواب مفصل لكل مسألة بعينها قال الله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [سورة هود ، الآية: ١] فذكر في الجواب المجمل رحمه الله: أن هؤلاء الذين يتبعون المتشابه هم الذين في قلوبهم زيغ كما صح ذلك عن النبي ﷺ في يقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ . . . ﴾ [سورة آل عمران ، الآية: ٧].

ولهذا تجد أهل الزيغ والعياذ بالله يأتون بالآيات المتشابهات ليلبسوا بها على باطلهم فيقولون مثلاً قال الله تعالى كذا وقال في موضع آخر كذا؟ فكيف يكون ، وهذا مثل ما حصل لنافع ابن الأزرق مع ابن عباس رضي الله عنهما في مناظرته التي ذكرها السيوطي في الإتقان وربما يكون غيره ذكرها وهي مفيدة .

(١) قال الشيخ - رحمه الله - وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه . فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم» [رواه البخارى فى "التفسير" (٤٥٤٧) باب منه آيات محكمات . ومسلم فى "العلم" (٦٦٥٠) باب النهى عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه ، والنهى عن الاختلاف فى القرآن . وأبو داود فى "السنة" (٤٥٩٨) باب مجانبة أهل الأهواء ، والترمذى فى "التفسير" (٢٩٩٣ ، ٢٩٩٤) باب ومن سورة آل عمران] أستدل المؤلف - رحمه الله - بهذا الحديث على أن الرجل الذي يتبع المتشابه من القرآن أو من السنة وصار يلبس به على باطله فهؤلاء هم الذين سماهم الله ووصفهم بقوله: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية: ٧] الآية ثم أمر النبي ﷺ بالحذر منهم فقال أحذروهم من أن يضلوكم عن سبيل الله باتباع هذا المتشابه واحذروا طريقهم أيضاً فالتحذير هنا يشمل التحذير عن طريقهم والتحذير منهم أيضاً ، ثم ضرب المؤلف لهم مثلاً بأن يقول لك المشرك أليس

يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم" .

مثال ذلك : إذا قال لك بعض المشركين : ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [سورة يونس ، الآية : ٦٢] . وأن الشفاعة حق ، وأن الأنبياء لهم جاه عند الله ، أو ذكر كلاماً للنبي ﷺ ، يستدل به على شيء من باطله ، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره ، فجاوبه بقولك: إن الله ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه .

وما ذكرته لك من أن الله تعالى ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية ، وأن كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم: ﴿ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ ﴾ [سورة يونس ، الآية : ١٨] هذا أمر محكم بين لا يقدر أحد أن يغير معناه [1] .

الله يقول : ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ أوليس للأولياء جاه عند الله سبحانه وتعالى؟ أو ليست الشفاعة ثابتة القرآن والسنة؟ وما أشبه ذلك من هذه الأشياء فقل : نعم كل هذا حق ولكنه ليس فيه دليل على أن تشرك بهؤلاء الأولياء ، أو بهؤلاء الرسل ، أو بهؤلاء الذين عندهم شفاعة عند الله - ﷻ - ودعواك أن هذا يدل على ذلك دعوى باطلة لا يحتج بها إلا مبطل وما أنت إلا من الذين قال الله فيهم : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾ ولو أنك رددت هذا المتشابه إلى المحكم لعلمت أن هذا لا دليل لك فيه .

(١) ذكر المؤلف - رحمه الله - كيف نرد المتشابه إلى المحكم أن المشركين كانوا مقرون بتوحيد الربوبية ويؤمنون بذلك إيماناً لا شك فيه عندهم ولكنهم يعبدون الملائكة وغيرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ومع هذا كانوا مشركين استباح النبي ﷺ دماءهم وأموالهم وهذا نص محكم لا اشتباه فيه دال على أن الله لا شريك له في ألوهيته وفي عبادته كما أنه لا شريك له في ربوبيته وملكه ، وأن من أشرك بالله في ألوهيته فهو مشرك وإن وحده في الربوبية .

وما ذكرت لي أيها المشرك من القرآن أو كلام النبي ﷺ ،لا أعرف معناه ، ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله [١] .

وهذا جواب جيد سديد [٢]ولكن لا يفهمه [٣] إلا من وفقه الله فلا تستهن به ،

---

(١) قوله - رحمه الله - "ما ذكرت أيها المشرك من كلام الله تعالى وكلام رسوله لا أعرف معناه ، ولكني أعلم أن كلام الله لا يتناقض ، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله" يريد بقوله: "لا أعرف معناه" أي لا أعرف معناه الذي أنت تدعيه ، وإنني أنكره ولا أقر به ، لأنني أعلم أن كلام الله لا يتناقض ، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله ، قال تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾ لسورة النساء ، الآية: ٨٢] ، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ لسورة النحل ، الآية: ٨٩] ، وقال تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ لسورة النحل ، الآية: ٤٤] وكلام الرسول ﷺ لا يخالف كلام الله ، وكذلك كلام الله لا يناقض بعضه بعضاً ، وقد أخبر سبحانه وتعالى أنه لا شريك له ، وقال النبي ﷺ : «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . . » [رواه مسلم في "الإيمان" (١١١) باب قول النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس» من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه] إلى آخر الحديث ، وهذا كله يؤيد بعضه بعضاً ، ويدل على أن الله تعالى ليس له شريك في الألوهية كما أنه ليس له شريك في الربوبية .

(٢) قوله رحمه الله: "وهذا جواب جيد سديد" يعني قول الإنسان لخصمه أن كلام الله تعالى لا يتناقض ، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله ، وأن الواجب رد المتشابه إلى المحكم ، فهذا أجاب بجواب سديد أي ساد لمحله لا يمكن لأحد أن يناقضه ، أو يرد عليه الصلاة والسلام ما ينقضه لأنه كلام محكم مبني على الدليلين: السمعي ، والعقلي وما كان كذلك فإنه جواب لا يمكن لأي مبطل أن ينقضه .

(٣) قوله: "ولكن لا يفهمه . . . إلخ" يعنى أن هذا الجواب لا يفهمه إلا من وفقه

فإنه كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [سورة فصلت ، الآية: ٣٥].

وأما الجواب المفصل [1] فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل يصدون بها الناس عنه ، منها: قولهم نحن لا نشرك بالله بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً عن عبد القادر أو غيره .

ولكن أنا مذنب ، والصالحون لهم جاه عند الله ، وأطلب من الله بهم ، فجاوبه بما تقدم وهو: أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بما ذكرت ، ومقرون بأن أوثانهم لا تدبر شيئاً ، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة [2] ....

الله فكشف عنه فتنة الشبهات وفتنة الشهوات ثم استدل لذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ أى ما يوفق للدفع بالتى هى أحسن .

(١) قوله: رحمه الله تعالى: "أما الجواب المفصل . . إلخ" لأن الجواب الأول كان مجملاً يرد به الإنسان على كل شبهة ، ثم هناك جواب مفصل أي مميز بعضه عن بعض بحيث تدفع به شبهة كل واحد بعينها .

فإذا قال لك المشرك: أنا لا أشرك بالله ، بل أشهد انه لا يخلق ، ولا يرزق ، ولا ينفع ، ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً عمن دونه ﷺ ، كعبد القادر يعني ابن موسى الجيلاني - على خلاف في اسم أبيه - كان من كبار الزهاد في والمتصوفين ولد سنة ٤٧١ بجيلان وتوفي سنة ٥٦١ في بغداد وكان حنبلي المذهب ، وهذا هو التوحيد ، فهذه شبهة يلبس بها ولكنها شبهة داحضة لا تفيده شيئاً .

(٢) قوله "ولكن أنا مذنب . . . .إلخ" هذا بقية كلام المشبه ، فأجبه بأن ما ذكرت

وقرا عليه ما ذكر الله في كتابه ووضحه [١] .

فإن قال: هؤلاء [٢] الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام ، كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام؟ أم كيف تجعلون الأنبياء أصناماً فجاوبه بما تقدم .

هو ما كان عليه الصلاة والسلام المشركون الذين قاتلهم النبي ﷺ واستباح دماءهم ونساءهم وأموالهم ، ولم يغنهم هذا التوحيد شيئاً .

(١) قوله: "واقرأ عليه ما ذكر الله تعالى في كتابه ووضحه" ، يريد بذلك أن تقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه من توحيد الألوهية فإنه جل وعلا أبدأ فيه وأعاد وكرر من أجل تثبيته في قلوب الناس وإقامة الحجة عليهم فقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [سورة الأنبياء ، الآية: ٢٥] ، وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات ، الآية: ٥٦] وقال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية: ١٨] وقال تعالى: ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة البقرة ، الآية ١٦٣] ، وقال تعالى: ﴿ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ [سورة العنكبوت ، الآية: ٥٦] إلى غيرها من الآيات الكثيرة الدالة على وجوب توحيد الله ﷻ في عبادته ، وأن لا يعبد أحد سواه ، فإذا إقتنع بذلك فهذا هو المطلوب وإن لم يقتنع فهو مكابر معاند يصدق عليه قول الله تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [سورة النمل ، الآية ١٤] .

(٢) قوله: "فإن قال: هؤلاء" يعني أهل الشرك هذه الآيات نزلت في المشركين الذين يعبدون الأصنام وهؤلاء الأولياء ليسوا بأصنام .

فجاوبه بما تقدم أي بأن كل من عبد غير الله فقد جعل معبوده وثناً فأي فرق بين من عبد الأصنام وعبد الأنبياء والأولياء؟ إذ أن الجميع لا يغني شيئاً عن عابديه .

فإنه إذا [1] أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله ، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة ، ولكن أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكره .

فاذكر له أن الكفار منهم من يدعو الأصنام ، ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ [سورة الإسراء ، الآية: ٥٧] . ويدعون عيسى بن مريم وأمه وقد قال الله تعالى: ﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا وَاللّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [2] [سورة المائدة ، الآيتان: ٧٥،٧٦] .

---

(١) يقول: "فإنه" أي هذا القائل يعلم أن المشركين قد أقروا بالربوبية ، وأن الله سبحانه وتعالى هو رب كل شيء وخالقه ومالكه ، ولكنهم عبدوا هذه الأصنام من أجل أن تقربهم إلى الله زلفى ، وتشفع لهم فقد اقر بأن مقصودهم كمقصوده ومع ذلك لم ينفعهم هذا الاعتقاد كما سبق .

(٢) قوله: "فاذكر له .... إلخ" جواب قوله: "فإنه إذا أقر أن الكفار... إلخ" يعنى فاذكر له أن هؤلاء المشركين منهم من يدعو الأصنام لطلب الشفاعة كما أنت كذلك موافق لهم في المقصود ، ومنهم من يعبد الأولياء كما أنت كذلك موافق لهم في المقصود والمعبود ، ودليل أنهم يدعوا الأولياء قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ وكذلك يعبدون الأنبياء كعبادة النصارى المسيح ابن مريم ، وكذلك يعبدون الملائكة كقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ [سورة سبأ ، الآية: ٤٠] الآية ، فتبين بذلك الجواب عن تلبيسه بكون المشركين يعبدون الأصنام وهو يعبد الأولياء والصالحين من وجهين:

الوجه الأول: أنه لا صحة لتلبيسه لأن من أولئك المشركين من يعبد

وأذكر له قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ (١) [سورة سبأ الآيتان: ٤٠ : ٤١].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ (٢) [سورة المائدة ، الآية: ١١٦]

فقل له: أعرفت أن الله كفر من قصد الأصنام ، وكفر أيضاً من قصد الصالحين وقاتلهم رسول الله ﷺ ؟ (٣) .

الأولياء والصالحين .

الوجه الثاني: لو قدرنا أن أولئك المشركين لا يعبدون إلا الأصنام فلا فرق بينه وبينهم لأن الكل عبد من لا يغني عنه شيئاً .

(١) قوله: "وأذكر له قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ ﴾ الآيتين ، هذه معطوفة على قوله سابقاً: "فأذكر له أن الكفار منهم من يدعو الأصنام . . . إلخ" . والمقصود من هذا أن يتبين له أن من الكفار من يعبد الملائكة وهم من خيار خلق الله وأوليائه فيبطل تلبيسه بأن الفرق بينه وبين الكفار أنه هو يدعو الصالحين والأولياء ، والكفار يعبدون الأصنام من الأحجار ونحوها .

(٢) قوله: وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ﴾ "الآية ، أي وأذكر له قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى . . . ﴾ لتلقمه حجرا في أن الكفار كانوا يعبدون الأولياء والصالحين ، فلا فرق بينه وبين أولئك الكفار .

(٣) قوله: "فقل له . . . إلخ" أي قل ذلك مبيناً له أن الله سبحانه وتعالى كفر من

فإن قال: (١) الكفار يريدون منهم وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر لا أريد إلا منه ، والصلاحون ليس لهم من الأمر شيء ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم .

فالجواب: أن هذا قول الكفار سواء بسواء وأقرأ عليه الصلاة والسلام قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [سورة الزمر ، الآية: ٣] وقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾ [سورة يونس ، الآية: ١٨].

وأعلم: أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم ، فإذا عرفت أن الله وضحها لنا في كتابه وفهمتها فهماً جيداً فما بعدها أيسر منها (٢) .

عبد الصالحين ، ومن عبد الأصنام والنبي ﷺ الله قاتلهم على هذا الشرك ولم ينفعهم أن كانا المعبودون من أولياء الله وأنبيائه .

(١) قوله: "فإن قال" يعني هذا المشرك ، الكفار يريدون منهم أي يريدون أن ينفعوهم أو يضروهم وأنا لا أريد إلا من الله ، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ، وأنا لا أعتقد فيهم ولكن أتقرب بهم إلى الله - ﷻ - ليكونوا شفعاء .

فقل له: وكذلك المشركون الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ ، هم لا يعبدون هؤلاء الأصنام لاعتقادهم أنها تنفع وتضر ولكنهم يعبدونها لتقربهم إلى الله زلفى كما قال تعالى عنهم: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ وقال: ﴿ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾ فتكون حالة كحال هؤلاء المشركين سواء بسواء .

(٢) قوله رحمه الله تعالى: وهذه الشبه الثلاث: -

الشبهة الأولى: قولهم: "إننا لا نعبد الأصنام إنما نعبد الأولياء" .

الشبهة الثانية: قولهم: "أننا ما قصدناهم وإنما قصدنا الله - ﷻ -

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله ، وهذا الإلتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة .

فقل له: أنت تقر أن الله فرض عليك إخلاص العبادة لله [١] وهو حقه عليك ، فإذا قال نعم فقل له: يبين لي هذا الذي فرض عليك وهو إخلاص العبادة لله وحده وهو حقه ، عليك فإن كان لا يعرف العبادة ولا أنواعها .

فبينها له بقولك قال الله تعالى: ﴿ ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [سورة الأعراف ، الآية: ٥٥] فإذا أعلمته بهذا ، فقل له: هل علمت هذا عبادة لله فلا بد أن يقول نعم ، والدعاء مخ العبادة [٢] .

فـي العبادة" .

الشبـهة الثـالثـة: قولهم: "أننا ما عبدناهم لينفعونا أو يضرونا ، فإن النفع والضر بيد الله ﷻ ، ولكن ليقربونا إلى الله زلفى ، فنحن قصدنا شفاعتهم بذلك ، يعنى فنحن لا نشرك بالله سبحانه وتعالى" .

فإذا تبين لك انكشاف هذه الشبهة فانكشاف ما بعدها من الشبه أهون وأيسر لأن هذه من أقوى الشبه التى يلبسون بها .

(١) إذا قال هذا الرجل المشبه أنا لست أعبدهم كما أعبد الله - ﷻ - والالتجاء إليهم ودعاؤهم ليس بعبادة فهذه شبهة .

وجوابها أن تقول: إن الله فرض عليك إخلاص العبادة له وحده . فإذا قال: نعم ، فاسأله ما معنى إخلاص العبادة له؟ فإما أن يعرف ذلك ، وإما أن لا يعرف ، فإن كان لا يعرف فبين له ذلك ليعلم أن دعاءه للصالحين وتعلقه بهم عبادة .

(٢) قوله: "فبينها له" أي بين له أنواع العبادة فقل له: إن الله يقول: ﴿ ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ والدعاء عبادة ، وإذا كان عبادة فإن دعاء

فقل له [١] إذا أقررت أنها عبادة ، ودعوت الله ليلاً ونهاراً ، خوفاً وطمعاً ، ثم دعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره هل أشركت في عبادة الله غيره؟ فلابد أن يقول: نعم ، فقل له: إذا علمت بقول الله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [٢] وأطعت الله ونحرت له ، هل هذا عبادة؟ فلابد أن يقول: نعم .

فقل له إذا نحرت لمخلوق نبي أو جني أو غيرهما هل أشركت في هذه العبادة غير الله فلابد أن يقر ويقول: نعم

وقل له أيضا [٣]: المشركون الذين نزل فيهم القرآن ، هل كانوا يعبدون الملائكة

غير الله يكون إشراكاً بالله - ﷻ - وعلى هذا فالذي يستحق أن يدعى ويعبد ويرجى هو الله وحده لا شريك له .

(١) قوله: "فقل له ..... إلخ" ، يعني إذا بينت أن الدعاء عبادة وأقر به فقل له: ألست تدعو الله تعالى في حاجة ثم تدعو في تلك الحاجة نفسها نبياً أو غيره فهل أشركت في عبادة الله غيره؟ فلابد أن يقول: نعم لأن هذا لازم لا محالة ، هذا بالنسبة للدعاء .

(٢) ثم إنتقل المؤلف - رحمه الله تعالى - إلى نوع آخر من العبادة وهو النحر قال: ، فقل له: إذا علمت بقول الله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ وأطعت الله ونحرت له أهذا عبادة ؟ فلابد أن يقول نعم فقد اعترف أن النحر لله تعالى عبادة وعلى هذا يكون صرفه لغير الله شركاً ، قال المؤلف - رحمه الله مقرراً ذلك: " فقل له إذا نحرت لمخلوق .... إلخ" وهذا إلزام واضح لا محيد عنه .

(٣) قوله: "وقل له أيضاً: المشركون .... إلخ" إنتقل المؤلف إلى إلزام آخر سبقت الإشارة إليه وهو أن يسأل هذا المشبه هل كان المشركون يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك فلابد أن يقول: نعم فيسأل مرة أخرى: هل كانت عبادتهم إلا في الدعاء والذبح والإلتجاء ونحو ذلك مع إقرارهم بأنهم عبيد الله وتحت قهره وأن الله هو

والصالحين واللات وغير ذلك؟ فلا بد أن يقول: نعم ، فقل له: وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والإلتجاء ونحو ذلك ، وغلا فهم مقرون أهم عبيده وتحت قهره ، وأن الله ، هو الذي يدبر الأمر ، ولكن دعوهم والتجأوا إليهم للجاه والشفاعة ، وهذا ظاهر جداً .

فإن قال: أتنكر شفاعة رسول الله ﷺ وتبرأ منها؟ فقال: لا أنكرها ولا أتبرأ منها ، بل هو ﷺ الشافع المشفع وأرجو شفاعته ، ولكن الشفاعة كلها لله ، كما قال الله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ (١) [سورة الزمر ، الآية: ٤٤].

ولا تكون إلا من بعد إذن الله كما قال - ﷻ -: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [سورة البقرة ، الآية: ٢٥٥] ولا يشفع في أحدٍ إلا من بعد أن يأذن الله فيه (٢) كما

الذي يدبر الأمر لكن دعوهم والتجؤوا إليهم للجاه والشفاعة كما سبق وهذا ما وقع فيه المشبه تماماً .

(١) قوله: "فإن قال" يعني إذا قال لك المشرك المشبه هل تنكر شفاعة النبي ﷺ وهو يقول هذا من أجل أن يلزمك بجواز دعاء النبي ﷺ عسى أن يشفع لك عند الله إذا دعوته ، فقل له: لا أنكر هذه الشفاعة ولا أتبرأ منها ، ولكني أقول إن الشفاعة لله ومرجعها كلها إليه وهو الذي يأذن فيها إذا شاء ولمن شاء لقول الله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ ﴾ [سورة الزمر ، الآية: ٤٤] .

(٢) قوله: "ولا تكون إلا بعد إذن الله . . . إلخ" . بين - رحمه الله - أن الشفاعة لا تكون إلا بشرطين:

الشرط الأول: - أن يأذن الله بها لقوله تعالى: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ .

الشرط الثاني: أن يرضى الله - ﷻ - عن الشافع والمشفوع له ، لقوله

قال - ﷻ -: ﴿ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ [سورة الأنبياء ، الآية: ٢٨]. وهو لا يرضى إلا التوحيد كما قال - ﷻ -: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية ٨٥].

فإذا كانت الشفاعة كلها لله [١] ، ولا تكون إلا من بعد إذنه ، ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه ، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد تبين لك أن الشفاعة كلها لله فأطلبها منه ، فأقول اللهم لا تحرمني شفاعته ، اللهم شفعه في ، وأمثال هذا .

فإن قال [٢] النبي ﷺ أعطي الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله؟

تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ﴾ [سورة طه ، الآية: ١٠٩] ، ولقول الله تعالى: ﴿ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [سورة الأنبياء الآية: ٢٨] ومن المعلوم أن الله لا يرضى إلا بالتوحيد ولا يمكن أن يرضى الكفر لقوله تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [سورة الزمر ، الآية: ٧] ، فإذا كان لا يرضى الكفر فإنه لا يأذن بالشفاعة للكافر .

تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ﴾ .

(١) قوله: فإذا كانت الشفاعة كلها لله .... إلخ" أراد المؤلف - رحمه الله تعالى - أنه إذا كانت الشفاعة لله ، ولا تكونإلا بإذنه ، ولا تكون إلالمن أرتضى ولا يرضى إلاالتوحيد لمن من ذلك أن لا تطلب الشفاعة إلامن الله تعال لا من النبي ﷺ فيقول اللهم شفع في نبيك اللهم لا تحرمني من شفاعته وأمثال ذلك .

(٢) قوله: "فإن قال" أي المشرك الذي يدعو رسول الله ﷺ إن الله أعطى محمداً ﷺ الشفاعة فأنا أطلبها منه .

فالجواب: من ثلاثة أوجه:

فالجواب: أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا فقال: ﴿ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [سورة الجن، الآية:١٨] فإذا كنت تدعو الله أن يشفع نبيه فيك فأطعه في قوله: ﴿ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ وأيضاً فإن الشفاعة أعطيها غير النبي ﷺ، فصح أن الملائكة يشفعون، والأولياء يشفعون، [١]، والأفراط يشفعون [٢]، أتقول: إن الله

الأول: أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك أن تشرك به في دعائه فقال: ﴿ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾.

الثاني: أن الله سبحانه وتعالى أعطاه الشفاعة ولكنه ﷺ لا يشفع إلا لمن إرتضاه الله، ومن كان مشركاً فإن الله لا يرتضيه فلا يأذن أن يشفع له كما قال تعالى: ﴿ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٢٨].

الثالث: إن الله تعالى أعطى الشفاعة غير محمد ﷺ فالملائكة يشفعون، والأفراط يشفعون والأولياء يشفعون، فقل: له: هل تطلب الشفاعة من كل هؤلاء؟ فإن قال: لا فقد خصم وبطل قوله وإن قال: نعم. رجع إلى القول بعبادة الصالحين، ثم إن هذا المشرك المشبه ليس يريد من رسول الله ﷺ أن يشفع له، ولو كان يريد ذلك لقال " اللهم شفع في نبيك محمداً رسول الله ﷺ" ولكنه يدعو الرسول ﷺ مباشرة ودعاء غير الله شرك أكبر مخرج من الملة، فكيف يريد هذا الرجل الذي يدعو مع الله غيره أن يشفع له أحد عند الله سبحانه وتعالى؟.

(١) وقال المؤلف "إن الملائكة يشفعون، والأولياء" سنده حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ الذي رواه مسلم مطولاً وفيه فيقول الله ﷻ " شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون" الحديث.

(٢) وقوله "الأفراط يشفعون" الأفراط هم الذين ماتوا قبل البلوغ وسنده حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال: "لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا من تحلة القسم" أخرجه البخاري وله عنه وعن أبي سعيد من حديث آخر "لـم

أعطاهم الشفاعة فأطلبها منهم؟

فإن قلت هذا رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكر الله في كتابه ، وإن قلت: لا . بطل قولك "أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله" .

فإن قال: أنا لا أشرك بالله شيئاً حاشا وكلا ، ولكن الألتجاء إلى الصالحين ليس بشرك .

فقل له: إذا كنت تقر أن الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا ، وتقر أن الله لا يغفره ، فما هذا الأمر الذي حرمه الله وذكر أنه لا يغفره؟ فإنه لا يدري[1] .

فقل له: كيف تبرئ نفسك[2] من الشرك وأنت لا تعرفه؟ أم كيف يحرم الله

يبلغوا الحنث" .

(١) إذا قال هذا المشرك أنا لا أشرك . بالله شيئاً والألتجاء إلى الصالحين ليس بشرك .

فجوابه أن يقال له: ألست تقر أن الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا ، وان الله لا يغفره فما هذا الشرك؟ فإنه سوف لا يدري ولا يجيب بالصواب مادام يعتقد أن طلب الشفاعة من رسول الله ﷺ الله عليه وسلم ليس بشرك فهو دليل على أنه لا يعرف الشرك الذي عظمة الله تعالى وقال فيه: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة لقمان ، الآية: ١٣] .

(٢) قوله: "فقل له كيف تبرئ نفسك . . . إلخ" يعني إذا برأ نفسه من الشرك بلجوئه إلى الصالحين فجوابه من وجهين:

الأول: أن يقال كيف تبرئ نفسك من الشك وأنت لا تعرفه ، وهل الحكم على الشيء إلا بعد تصوره فحكمك براءة نفسك من الشرك وأنت لا تعلمه حكم بلا علم فيكون مردوداً .

عليك هذا ويذكر أنه لا يغفره ولا تسأل عنه ولا تعرفه ، أتظن أن الله يحرمه ولا يبينه لنا؟

فإن قال: الشرك عبادة الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام ، فقل له: ما معنى عبادة الأصنام؟ أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق ، وترزق ، وتدبر أمر من دعاها؟ فهذا يكذبه القرآن[1] .

وإن قال[2]: هو من قصد خشبة ، أو حجراً ، أو بنية على قبر أو غيره ، يدعون ذلك ويذبحون له ويقولون إنه يقربنا إلى الله زلفى ، ويدفع الله عنا ببركته أو يعطينا ببركته .

فقل: صدقتن وهذا هو فعلكم عند الأحجار والأبنية التي على القبور وغيرها ، فهذا اقر أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام فهو المطلوب .

ويقال له أيضاً: قولك الشرك عبادة الأصنام ، هل مرادك أن الشرك مخصوص

الوجه الثاني: أن يقال لماذا ؟ لا تسال عن الشرك الذي حرمه الله تعالى أعظم من تحريم قتل النفس والزنا وأوجب لفاعله النار وحرم عليه الجنة أتظن أن الله حرمه على عباده ولم يبينه لهم حاشاه من ذلك .

(١) يعني إذا قال لك المشرك المشبه: الشرك عبادة الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام فأجبه بجوابين:

يعتقد أنها تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها فإن زعم ذلك فقد كذب القرآن .

(٢) قوله: "وإن قال . . . إلخ هذا مقابل قولنا " إن زعم ذلك فقد كذب القرآن" يعني إن قال عبادة الأصنام أن يقصد خشبة أو حجراً أو بنية على قبر أو غيره يدعون ذلك ن ويذبحون له ، ويقولون إنه يقربنا إلى الله زلفى قلنا: صدقت وهذا هو فعلك سواء بسواء وعليه فتكون مشركاً بإقرارك على نفسك وهذا هو المطلوب .

بهذا وأن الإعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في ذلك؟ فهذا يرده ما ذكر الله في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة أو عيسى أو الصالحين[1] . فلا بد أن يقر لك أن من أشرك في عبادة الله أحداً من الصالحين فهو الشرك المذكور في القرآن وهذا هو المطلوب .

وسر المسألة[2] : أنه إذا قال أنا لا أشرك بالله .

فقل له : وما الشرك بالله؟ فسره لي؟

فإن قال[3] : هو عبادة الأصنام .

---

(١) قوله " ويقال له أيضاً قولك: الشرك عبادة الأصنام" إلى قوله " وهذا هو المطلوب" هذا هو الجواب الثاني أن يقال: هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا ، وأن الاعتماد على الصالحين ودعاء الصالحين لا يدخل في ذلك ، فهذا يرده القرآن وهذا هو المطلوب .

(٢) قوله: "وسر المسألة" يعني لبها أنه إذا قال أنا لا أشرك بالله فاسأله ما معنى الشرك؟ فإن قال: هو عبادة الأصنام ، فاسأله ما معنى عبادة الأصنام؟ ثم جادله على ما سبق بيانه .

(٣) قوله: "فإن قال . . . إلخ" يعني إذا أدعى هذا المشرك أنه لا يعبد إلا الله وحده فاسأله: ما معنى عبادة الله وحده؟ وحينئذ لا يخلو من ثلاث حالات:

الأولى: أن يفسرها بما دل عليه القرآن فهذا هو المطلوب والمقبول ، وبه يتبين أنه لم يحقق عبادة الله وحده حيث أشرك به .

الثانية: أن لا يعرف معناها ، فيقال: كيف تدعي شيئاً وأنت لا تعرفه؟ أم كيف تحكم به لنفسك والحكم على الشيء فرع عن تصوره؟ .

الثالثة: أن يفسر عبادة الله بغير معناها ، وحينئذ يبين له خطوه ببيان المعنى

فقل: وما معنى عبادة الأصنام؟ فسرها لي [(١)] .

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله فقل: ما معنى عبادة الله فسرها لي؟ فإن فسرها بما بينه القرآن فهو المطلوب ، وإن لم يعرفه فكيف يدعي شيئاً وهو لا يعرفه؟

وإن فسر ذلك بغير معناه بينت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان وأنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه .

وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا ويصيحون فيه كما صاح إخوانهم حيث قالوا: ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [سورة ص ، الآية: ٥] .

فإذا عرفت [(٢)] أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا "كبير الإعتقاد" هو الشرك

الشرعي للشرك وعبادة الأوثان وأنه الذي يفعلونه بعينه ويدعون أنهم موحدون غير مشركين .

(١) يعني ويبين له أيضاً أن عبادة الله وحده هي التي ينكرونها علينا ويصرخون بها علينا كما فعل ذلك أسلافهم حين قالوا للرسول ﷺ : ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاَقٌ ﴾ [سورة ص ، الآيات ٥ - ٧] .

(٢) قوله: "إذا عرفت" يعني علمت معنى العبادة وأن ما عليه أولئك المشركون في زمنه هو ما كان المشركون عليه في عهد النبي ﷺ عرفت أن شرك هؤلاء أعظم من شرك الذين قاتلهم النبي ﷺ من وجهين: -

الوجه الأول: - أن شرك هؤلاء يشركون بالله في الشدة والرخاء ، وأما أولئك المشركون الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ فإنما يشركون في الرخاء ويخلصون في حال

الذي نزل فيه القرآن ، وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه ، فأعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين أحدهما: أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا في الرخاء ، وأما الشدة فيخلصون لله الدعاء كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾ [سورة الإسراء ، الآية: ٦٧] .

وقوله: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاء وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾(١) [سورة الأنعام ، الآيتان: ٤٠، ٤١] .

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ﴾ .

إلى قوله: ﴿ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾(٢) [سورة الزمر ، الآية: ٨] .

الشدة ، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ . . . ﴾ الآية فكانوا إذا ركبوا في الفلك دعوا لله مخلصين له الدين لا يدعون غيره ولا يسألون سواه ، ثم إذا أنجاهم إلى البر إذا هم يشركون ، أو فريق منهم بربهم يشركون ، فهذا هو وجه" .

(١) وهذه أيضاً تدل على أنهم كانوا يشركون فى حال الرخاء وأنهم إذا أتاهم عذاب أو أتتهم الساعة فإنهم لا يدعون غير الله ، كما قال تعالى: ﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاء وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ فهم في هذه الحال ينسون ما يشركون ، ولا يدعون سوى الله ﷻ .

(٢) وهذه أيضاً كالآيتين اللتين قبلها ، تدل على أن الإنسان إذا مسه الضر دعا ربه مبيناً إليه ، ولكنه إذا خوله نعمة منه نسى ما كان إليه من قبل ، وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله . . فيشرك في حال الرخاء ويخلص في حال الشدة .

وقوله تعالى: ﴿ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (١) [سورة لقمان ، الآية: ٢٢].

فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله ويدعون غيره في الرخاء ، وأما في الضراء والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له وينسون سادتهم (٢) ، تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة هذه المسألة فهما راسخاً ، والله المستعان (٣) .

الأمر الثاني: أن الأولين يدعون مع الله أناساً مقربين عند الله إما أنبياء ، وإما أولياء وإما ملائكة ، أو يدعون أشجاراً ، أو أحجاراً مطيعة لله ليست عاصية ، وأهل

---

(١) هذه أيضاً كالآيات السابقة تدل على أن هؤلاء المشركين إنما يشركون بالله في حال الرخاء ، أما في حال الشدة فيلجأون لله وحده .

(٢) يبين رحمه الله أن المشركين في زمانه أشد شركاً من مشركي زمان رسول الله ﷺ ، لأن مشركي زمانه يدعون غير الله في الرخاء وفي الشدة وأما المشركون في عهد الرسول ﷺ ، فإنهم يدعون الله ويدعون غيره في حال الرخاء ، وأما في حال الشدة فلا يدعون إلا الله ﷻ ، وهذا يدل على أن شرك المشركين في زمانه رحمه الله أعظم من شرك المشركين في عهد رسول الله ﷺ.

(٣) قوله: "تبين له الفرق . . . إلخ" هذا جواب قوله: "فمن فهم هذه المسألة . . . إلخ" أي تبين له الفرق ،بين له الفرق ، بين مشركي زمانه رحمه الله والمشركين في عهد الرسول ﷺ ، وأن شرك الأولين أخف من شرك أهل زمانه ، ولكن أين من يفهم قلبه ذلك ، أكثر الناس في غفلة عن هذا وأكثر الناس يلبس عليهم الحق بالباطل فيظنون الباطل حقاً كما يظنون الحق باطلاً .

زماننا يدعون مع الله أناساً من أفسق الناس ، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك[١] .

والذي يعتقد في الصالح أو الذي لا يعصي مثل الخشب والحجر أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به . إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ ، أصح عقولاً ، وأخف شركاً من هؤلاء ، فأعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا وهي من أعظم شبههم ، فأصغ سمعك لجوابها وهي:

أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله ويكذبون الرسول ﷺ ، وينكرون البعث ويكذبون القرآن ويجعلونه سحراً ، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ونصدق القرآن ، ونؤمن بالبعث ونصلي ونصوم ، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟[٢] .

---

(١) قوله: "الأمر الثاني" أي في بيان أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زمانه رحمه الله أن المشركين في عهد الرسول ﷺ ، يدعون أناساً مقربين من أولياء الله ﷻ أو يدعون أحجاراً أو أشجاراً مطيعة لله ذليلة له ، أما هؤلاء أعني المشركين في زمانه فإنهم يدعون من يحكون عنهم الفجور والزنا والسرقة وغير ذلك من معاصي الله ﷻ ومعلوم أن من يعتقد في الصالح ، أو الجهاد الذي لا يعصي الله تعالى أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه ويشهد به وهذا ظاهر.

(٢) في هذه الجملة يبين رحمه الله شبهة من أعظم شبههم ويجيب عنها فيقول: إذا تحققت أن المشركين في عهده عليه الصلاة والسلام أصح عقولاً وأخف شركاً من هؤلاء فأعلم أنهم يوردون شبهة حيث يقولون إن المشركين في عهد الرسول ﷺ ، لا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ونصدق القرآن ، ونؤمن بالبعث ، ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ، ونصوم رمضان فكيف تجعلوننا مثلهم ، وهذه شبهة عظيمة .

فالجواب: - أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ، في شيء وكذبه في شيء، أنه كافر لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن بعضه كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة، أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كله وجحد الصوم، أو أقر بهذا كله وجحد الحج، ولما لم ينقذ أناس في زمن النبي ﷺ، للحج أنزل الله في حقهم: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (١)

---

(١) يقول رحمه الله: إنهم إذا قالوا هذا، يعني أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . . . إلخ، يعني فكيف يكونون كفاراً؟.

وجوابه أن يقال:

إن العلماء أجمعوا على أن من كفر ببعض ما جاء به الرسول ﷺ وكذب به، فهو كمن كذب بالجميع وكفر به ومن كفر بنبي من الأنبياء فهو كمن كفر بجميع الأنبياء لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ﴾ [سورة النساء الآيتان: ١٥٠، ١٥١] وقوله تعالى في بني إسرائيل: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة البقرة، الآية ٨٥]. ثم ضرب المؤلف لذلك أمثلة:

المثال الأول: الصلاة فمن أقر بالتوحيد وأنكر وجوب الصلاة فهو كافر.

قوله: "أو أقر بالتوحيد . . . إلخ" هذا هو المثال الثاني وهو من أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة فإنه يكون كافراً.

المثال الثالث: من أقر بوجوب ما سبق وجحد وجوب الصوم فإنه

[سورة آل عمران ، الآية: ٩٧].

ومن أقر بهذا كله [١] وجحد البعث كفر بالإجماع ، وحل دمه وماله ، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [٢] [سورة النساء ، الآيتان: ١٥١ ، ١٥٠].

فإذا كان الله قد صرح في كتابه: أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقاً زالت هذه الشبهة ، وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الإحساء في كتابه الذي

يكون كافراً .

المثال الرابع: من أقر بذلك كله وجحد وجوب الحج فإنه كافر ، واستدل المؤلف على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية: ٩٧].

قول المؤلف رحمه الله "ولما لم ينقد . . . إلخ" ظاهره أن للآية سبب نزول هو هذا ولم أعلم لما ذكره الشيخ دليلاً .

(١) قوله: "ومن أقر بهذا كله" أي بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ ، ووجوب الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، لكنه كذب بالبعث فإنه كافر بالله لقول الله تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [سورة التغابن ، الآية: ٧] وقد حكى المؤلف رحمه الله الإجماع على ذلك .

(٢) قوله: "كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ الآية ، سبق الكلام على هذه الآية وقد ساقها المؤلف مستدلاً بها على أن الإيمان ببعض الحق دون بعض كفر بالجميع كما قرره بقوله .

أرسله إلينا[١] .

ويقال أيضاً [٢] إذا كنت تقر أن من صدق الرسول ﷺ في كل شيء وجحد وجوب الصلاة أنه كافر حلال الدم المال بالإجماع ، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث ، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان وصدق بذلك كله لا تختلف المذاهب فيه ، وقد نطق به القرآن كما قدمنا .

فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ وهو أعظم من الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ؟ وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا

---

(١) لا أعلم عن هذا الكتاب شيئاً فليبحث عنه .

(٢) قوله : " ويقال أيضاً إذا كنت تقر أن من صدق الرسول . . . . إلخ" هذا جواب ثان فإن مضمونه أنك إذا عرفت وأقررت بأن من جحد الصلاة والزكاة والصيام والحج والبعث كافر بالله العظيم ، ولو أقر بكل ما جاء به الرسول ﷺ سوى ذلك فكيف تنكر أن يكون من جحد التوحيد وأشرك بالله تعالى كافراً؟ إن هذا لشيء عجيب ، أن تجعل من جحد التوحيد مسلماً ، ومن جحد وجوب هذه الأشياء كافراً ، مع أن التوحيد هو أعظم ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام وهو أعم ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام وهو أعم ما جاءت به الرسل ، فجميع الرسل قد أرسلت به ، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء ، الآية: ٢٥] وهو أصل هذه الواجبات التي يكفر من أنكر وجوبها إذ لا تصح إلا به كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنْ الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة الزمر ، الآية: ٦٥] . فإذا كان من أنكر وجوب الصلاة ، أو الزكاة ، أو الصوم ، أو الحج ، أو أنكر البعث كافراً ، فمنكر التوحيد أشد كفراً وأبين وأظهر .

يكفر؟ سبحان الله ، ما أعجب هذا الجهل .

ويقال أيضاً : [١] هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وقد أسلموا مع النبي ﷺ الله عليه وسلم وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ ويؤذنون ويصلون .

فإن قال إنهم يقولون : إن مسيلمة نبي .

فقل : هذا هو المطلوب إذا كان من رفع رجلاً إلى رتبة النبي ﷺ كفر وحل ماله ودمه ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة ، فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف أو صحابياً أو نبياً إلى مرتبة جبار السموات والأرض؟ سبحان الله ، ما أعظم شأنه : ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الروم ، الآية ٥٩] .

ويقال أيضاً [٢] الذين حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار كلهم

---

(١) قوله : "ويقال أيضاً هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ.... إلخ" هذا جواب ثالث ومضمونه أن الصحابة رضي الله عنهم قاتلوا مسيلمة وأصحابه ، واستحلوا دماءهم وأموالهم مع أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، ويؤذنون ، ويصلون وهم إنما رفعوا رجلاً إلى مرتبة جبار السموات والأرض أفلا يكون أحق بالكفر ممن رفع مخلوقاً إلى منزلة مخلوق آخر؟ وهذا أمر واضح ، ولكن كما قال الله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الروم ، الآية : ٥٩] .

(٢) قوله : "ويقال أيضاً إن الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار... إلخ" ، هذا جواب رابع فقد كان هؤلاء يدعون الإسلام ، وتعلموا من الصحابة ومع ذلك لم يمنعهم هذا من الحكم بكفرهم ، وتحريقهم بالنار لأنهم قالوا في علي ابن أبي طالب إنه إله ، مثل ما يدعي هؤلاء بمن يؤلهونهم ، كشمسان وغيره . فكيف أجمع الصحابة رضي الله عنهم على قتل هؤلاء ، أتظنون أن الصحابة رضي الله عنهم يجمعون على

يدعون الإسلام وهم من أصحاب علي رضي الله عنه وتعلموا العلم من الصحابة ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وامثالهما ، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟ أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين؟ أم تظنون أن الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر والاعتقاد في علي بن أبي طالب رضي الله عنه يكفر؟

ويقال أيضاً: بنو عبيد القداح (١) الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بني العباس كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويدعون الإسلام ، ويصلون الجمعة والجماعة فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم ، وأن بلادهم بلاد حرب ، وغزاهم المسلمون حتى أستنفذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين .

ويقال أيضاً (٢) إذا كان الأولون لم يكفروا إلا أنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب

قتل من لا يحل قتله ، وتكفير من ليس بكافر؟! ذلك لا يمكن أم تظنون أن الاعتقاد في علي بن أبي طالب يضر .

(١) قوله: "ويقال أيضاً بنو عبيد القداح . . . إلخ" هذا جواب خامس وهو إجماع العلماء على كفر بني عبيد القداح الذين ملكوا مصر والمغرب وكانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، ويصلون الجمعة والجماعات ويدعون أنهم مسلمين ، ولكن ذلك لم يمنعهم من حكم المسلمين عليهم بالردة حين أظهروا مخالفة المسلمين في أشياء دون التوحيد حتى قاتلوهم وأستنفذوا ما بأيديهم .

(٢) قوله: "ويقال أيضاً إذا كان الأولون لم يكفروا إلا أنهم . . . إلخ" هذا جواب سادس مضمونه أنه إذا كان الأولون لم يكفروا إلا حين جمعوا جميع أنواع الكفر من الشرك والتكذيب والاستكبار فما معنى ذكر أنواع من الكفر في (باب حكم المرتد) كل نوع منها يكفر حتى ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه ، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب ، فلولا أن الكفر يحصل بفعل نوع منه

الرسول والقرآن ، وإنكار البعث وغير ذلك فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب: (باب حكم المرتد) وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه ، ثم ذكروا أنواعاً كثيرة كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله ، حتى أنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها ، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه ، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب .

ويقال أيضاً: الذين قال الله فيهم [(١)]: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ

وإن كان الفاعل مستقيماً في جانب آخر لم يكن لذكر الأنواع فائدة .

يقول رحمه الله تعالى: ومما يدفع شبه هؤلاء ، هم الفقهاء في كل مذهب ذكروا في كتبهم: باب حكم المرتد وذكروا أنواعاً كثيرة ، حتى ذكروا الكلمة يذكرها الإنسان بلسانه ولا يعتقدها بقلبه ، أو يذكرها الإنسان بلسانه ولا يعتقدها بقلبه ، أو يذكرها على سبيل المزح ، ومع ذلك كفروهم وأخرجوهم من الإسلام بها وسيأتي لذلك مزيد بيان وإيضاح .

(١) قوله: "ويقال أيضاً الذين قال الله فيهم: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُواْ ﴾ ... إلخ" هذا جواب سابع مضمونه واقعتان:

الأولى: أن الله تعالى حكم بكفر المنافقين الذين قالوا كلمة الكفر مع أنهم كانوا مع النبي ﷺ يصلون ويزكون ويحجون ويجاهدون ويوحدون .

الثانية: أنه حكم بكفر المنافقين الذين أستهزؤا بالله وآياته ورسوله وقالوا "ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ، ولا أكذب ألسناً ، ولا أجبن عند اللقاء" يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء فأنزل الله فيهم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ * لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ . فحكم بكفرهم بعد إيمانهم مع أنهم ذكروا أنهم كانوا يستهزؤن ولم يقولوا ذلك على سبيل الجد وكانوا يصلون ويتصدقون ، ثم ذكر المؤلف رحمه الله أن الجواب

الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ ﴾ [سورة التوبة الآية: ٧٤] أما سمعت الله كفرهم بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ ويجاهدون معه ويصلون ، ويزكون ، ويحجون ، ويوحـدون ، وكـذلك الذين قال الله فيهم: ﴿ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ * لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ .

ومن الدليل على ذلك [١] أيضاً ما حكى الله عن بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم أنهم قالوا لموسى: ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ [سورة الأعراف ، الآية: ١٣٨] وقول أناس من الصحابة: "أجعل لنا ذات أنواط" [صحيح رواه أحمد (٢١٨/٥) والترمذى (٢٢٨٥) وعبد الرزاق (٢٠٧٦٣) وابن أبى شيبة (١٠١/١٥) والطيالسى (١٣٤٦) وأبو يعلى (١٤٤١) وابن إسحاق كما فى "السيرة النبوية" لابن هشام (٥٦/٤) وابن حبان (٦٧٠٢- إحسان) والبيهقى فى "الدلائل" (١٢٤/٥- ١٢٥) والحميدى (٨٤٨) والطبرانى فى "الكبير" (٣٢٩٠ ، ٣٢٩١ ، ٣٢٩٢ ، ٣٢٩٣ ، ٣٢٩٤) وابن أبى عاصم فى "السنة" (٧٦) والنسائى فى "التفسير" فى "الكبرى" (٣٤٦/٦) رقم (١١١٨٥) عن أبى واقد الليثى رضى الله عنه] فحلف النبي ﷺ ، أن هذا نظير قول بني إسرائيل أجعل لنا إلهاً .

على هذه الشبهة من أنفع ما في هذه الأوراق .

(١) قوله: "ومن الدليل على ذلك" أي على أن الإنسان قد يقول أو يفعل ما هو كفر من حيث لا يشعر قول بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم لموسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [سورة الأعراف ، الآية: ١٣٨] «لتركبن سنن من كان قبلكم» [جزء من حديث أبى واقد الليثى الذى سبق تخريجه] وهذا يدل على أن موسى ومحمداً عليهما الصلاة والسلام قد أنكرا ذلك غاية الإنكار وهذا هو المطلوب ، فإن هذين النبيين الكريمين لم يقرا أقوامهما على هذا الطلب الذي طلبوه بل أنكراه .

وقد شبه بعض المشركين في هذا الدليل فقال: إن الصحابة وبني إسرائيل لم يفعلوا ذلك حين لقوا من الرسولين الكريمين إنكار ذلك .

ولكن للمشركين شبهة يدلون عند هذه القصة وهي أنهم يقولون: إن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك ، وكذلك الذين قالوا للنبي ﷺ أجعل لنا ذات أنواط لم يكفروا .

فالجواب: أن نقول إن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك ، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ ، لم يفعلوا ذلك ، ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا ، وكذلك لا خلاف في أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا وهذا هو المطلوب .

ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها فتفيد التعلم والتحرز ومعرفة أن قول الجاهل (التوحيد فهمناه) أن هذا من أكبر الجهل ومكايد الشيطان(١) .

وتفيد أيضاً أن المسلم المجتهد(٢) إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري فنبه على ذلك

---

(١) هذا شروع في بيان ما تفيده هذه القصة أعني قصة الأنواط وبني إسرائيل من الفوائد:

الفائدة الأولى: أن الإنسان وإن كان عالماً قد يخفى عليه بعض أنواع الشرك ، وهذا يوجب على الإنسان أن يتعلم ويعرف حتى لا يقع في الشرك وهو لا يدري ، وأنه إذا قال أنا أعرف الشرك وهو لا يعرف كان ذلك من أخطر ما يكون على العبد ، لأن هذا جهل مركب شر من الجهل البسيط ، لأن الجاهل جهلاً مركباً فإنه يظن نفسه عالما وهو جاهل فيستمر فيما هو عليه من العمل المخالف للشريعة .

(٢) قوله: "وتفيد أن المسلم المجتهد. إلخ" هذه هى الفائدة الثانية أن المسلم إذا قال ما يقتضى الكفر جاهلاً بذلك ثم نبه فانتبه وتاب فى الحال فإن ذلك لا يضره لأنه معذور بجهله ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، أما لو استمر على ما علمه من الكفر فإنه يحكم بما يقتضيه حاله .

فتاب من ساعته أنه لا يكفر كما فعل بنو إسرائيل والذين سألوا النبي ﷺ .

وتفيد أنه لو لم يكفر (١) فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظاً شديداً كما فعل رسول الله ﷺ .

وللمشركين شبهة أخرى يقولون: إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال " لا إله إلا الله" ، وكذلك قوله: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا وأحاديث أخرى في الكف عمن قالها ، ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ، ولا يقتل ولو فعل ما فعل(٢) .

---

(١) قوله: "وتفيد أنه لو لم يكفر . . .إلخ" هذه هي الفائدة الثالثة ، أن الإنسان وإن كان لا يدري عن الشيء إذا طلب ما يكون به الكفر فإنه يغلظ عليه تغليظاً شديداً ؛ لأن النبي ﷺ قال لأصحابه: «الله أكبر إنها السنن لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة» [القذة: واحدة القذذ وهو ريش السهم أى لتتبعن طريقهم فى كل ما فعلوه ، وتشبهوهم فى ذلك كما تشبه قُذة السهم القذة الأخرى] وهذا إنكار ظاهر .

(٢) قوله: "وللمشركين شبهة أخرى . . . إلخ" يعني للمشركين المشبهين شبهة أخرى مع ما سبق من الشبهات وهي: أن النبي ﷺ أنكر على أسامة بن زيد رضي الله عنه قتل الرجل بعد أن قال لا إله إلا الله فقال: "أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله" وما زال يكررها عليه الصلاة والسلام على أسامة حتى قال أسامة: «تمنيت أني لم أكن أسلمت بعد» [رواه البخارى فى "المغازى" (٤٢٦٩) باب بعث النبى ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة ، ومسلم فى "الإيمان" (٢٧١) باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله . وأبو داود من "الجهاد" (٢٦٤٣) باب على ما يقاتل المشركون] وكذلك قوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» [رواه البخارى فى "الزكاة" (١٣٩٩) باب وجوب الزكاة ومسلم فى "الإيمان" (١٢٤) باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله . وأحمد (٥٢٨/٢) وأبو داود فى "الزكاة" (١٥٥٦) والترمذى فى "الإيمان" (٢٦٠٧) باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه] وأمثال ذلك من الأحاديث التي

فيقال لهؤلاء المشركين الجهال: معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون: لا إله إلا الله ، وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ويدعون الإسلام ، وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار(١) .

وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا إله إلا الله . وأن من جحد شيئاً من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها ، فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعاً من الفروع ، وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه؟(٢) .

يستدلون بها على أن من قال: "لا إله إلا الله" لا يكفر ولا يقتل وإن على الشرك من جهة أخرى ، وهذا من الجهل العظيم ، فليس قول "لا إله إلا الله" منجياً من عذاب النار ومخلصاً للإنسان من الشرك إذا كان يشرك من جهة أخرى .

(١) قوله: "فيقال لهؤلاء المشركين الجهال .... إلخ" هذا جواب الشبهة التي أوردها هؤلاء الجهال فيما سبق وجوابها بما يلي:

أولاً: أن النبي ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون لا إله إلا الله .

ثانياً : أن الصحابة قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله . وأن محمد رسول الله ويصلون ويدعون أنهم مسلمون .

ثالثاً: أن الذين حرقهم علي بن أبي طالب كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله .

(٢) قوله: "وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث .... إلخ" هذا إلزام لهؤلاء الجهال واحتجاج عليهم بمثل ما قالوا به ، فقد قالوا إن من أنكر البعث فإنه يقتل كافراً ، ويقولون من جحد وجوب شيء من أركان الإسلام ، فإنه يحكم بكفره ويقتل وإن قال لا إله إلا الله ، فكيف لا يكفر ولا يقتل من يجحد التوحيد هو أساس الدين وإن قال لا إله إلا الله ؟! أفلا يكون هذا أحق بالتكفير ممن جحد وجوب الصلاة ، أو

ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث: فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلاً إدعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما أدعى الإسلام إلا خوفاً على دمه وماله ، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك ، وأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [سورة النساء ، الآية: ٩٤] أي فتثبتوا ، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقوله تعالى: ﴿ فَتَبَيَّنُواْ﴾ ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبيت معنى[1] .

وجوب الزكاة ؟! ، وهذا إلزام صحيح لا محيد عنه .

(١) قوله: "ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث .... إلخ" يعني الأحاديث التي شبهوا بها ثم أخذ رحمه الله يبين معناها فقال:

فأما حديث أسامة ، يعني الحديث الذي قتل فيه أسامة رضي الله عنه من قال لا إله إلا الله حين لحقه أسامة ليقتله وكان مشركاً ، فقال: "لا إله إلا الله" ، فقتله أسامة لظنه أنه لم يكن مخلصاً في قوله وإنما قاله تخلصاً فليس فيه دليل على أن كل من قال "لا إله إلا الله" فهو مسلم ومعصوم الدم ، ولكن فيه دليل على أنه يجب الكف عمن قال "لا إله إلا الله" ، ثم بعد ذلك ينظر في حاله حتى يتبين وأستدل المؤلف لذلك بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [سورة النساء ، الآية: ٩٤]. الآية ، فأمر الله تبارك وتعالى بالتبين أي التثبت وهذا يدل على أنه إذا تبين أن الأمر كان خلاف ما كان عليه فإنه يجب أن يعامل بما يتبين من حاله ، فإذا بان منه ما يخالف الإسلام قتل ولو كان لا يقتل مطلقاً إذا قالها لم يكن فائدة للأمر بالتثبت .

وعلى كل حال فإن حديث أسامة رضي الله عنه ليس فيه دليل على أن من قال "لا إله إلا الله" وهو مشرك يعبد الأصنام والملائكة والجن وغير ذلك يكون مسلماً .

وكذلك الحديث الآخر وأمثاله معناه ما ذكرناه أن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه إلى أن يتبين ما يناقض ذلك والدليل على هذا أن رسول الله ﷺ، قال: "أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله" وقال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله" هو الذي قال في الخوارج "أينما لقيتموهم فأقتلوهم لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عادٍ" مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلاً وتسبيحاً ، حتى أن الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم ، وهم تعلموا العلم من الصحابة فلم تنفعهم لا إله إلا الله ، ولا كثرة العبادة ، ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة [1] .

---

(١) قوله: "وكذلك الحديث الآخر وأمثاله" يريد بالحديث الآخر قوله ﷺ"أمرت أن أقاتل الناس . . . إلخ" فبين رحمه الله تعالى أن معنى الحديث أن من أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين أمره ، لقوله تعالى: ﴿ فَتَبَيَّنُواْ﴾ لأن الأمر بالتبين يحتاج إليه إذا كنا في شك من ذلك ، أما لو كان قوله "لا إله إلا الله" بمجرده عاصماً من القتل فإنه لا حاجة إلى التبين ، ثم استدل المؤلف - رحمه الله - لما ذهب إليه بأن الذي قال لأسامة "أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله" وقال: « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . . . » . هو الذي أمر بقتال الخوارج وقال: "إينما لقيتموهم فاقتلوهم" [رواه البخارى فى "المناقب" (٣٦١١) باب علامات النبوة فى الإسلام ، ومسلم فى "الزكاة" (٢٤٢٣) باب التحريض على قتل الخوارج .وأبو داود فى "السنة" (٤٧٦٧) باب فى قتال الخوارج والنسائى فى "المحاربة" (١١٩/٧)باب من شهر سيفه ثم وضعه فى الناس عن على بن أبى طالب رضى الله عنه] مع أن الخوارج يصلون ويذكرون الله ويقرؤون القرآن ، وهم قد تعلموا من الصحابة رضي الله عنهم ومع ذلك لم ينفعهم ذلك شيئاً ؛ لأن الإيمان لم يصل إلى قلوبهم كما قال النبي ﷺ"إنه لا يجاوز حناجرهم" [رواه البخارى فى "المغازى" (٤٣٥١) باب بعث عليهم أبى طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع . ومسلم فى "الزكاة" (٢٤١٢) باب ذكر الخوارج وصفاتهم . وأبو داود فى "السنة" (٤٧٦٤) باب فى قتال الخوارج ، والنسائى فى "الزكاة" (٨٧/٥) باب المؤلفة قلوبهم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه]

وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود ، وقتال الصحابة بني حنيفة ، وكذلك أراد النبي ﷺ أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل أنهم منعوا الزكاة حتى أنزل الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [سورة الحجرات ، الآية: ٦]. وكان الرجل كاذباً عليهم ، وكل هذا يدل على أن مراد النبي ﷺ في الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه [١].

ولهم شبهة أخرى: وهو ما ذكر ﷺ أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ، ثم بنوح ، ثم بإبراهيم ، ثم بموسى ، ثم بعيسى فكلهم يعتذر حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ قالوا: فهذا يدل على أن الإستغاثة بغير الله ليست شركاً .

والجواب: أن نقول سبحان من طبع على قلوب أعدائه فإن الإستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها ، كما قال الله تعالى في قصة موسى: ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ [سورة القصص ، الآية:١٥]. وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيره في أشياء يقدر عليها المخلوق ، ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء ، أو في غيبتهم في الأشياء التي لا عليها إلا الله [٢] .

---

(١) وهو أن مجرد قول "لا إله إلا الله" ليس مانعاً من القتل بل يجوز قتال من قالها إذا وجد سبب يقتضي قتاله .

(٢) قوله: "ولهم شبهة أخرى" يعني في أن الإستغاثة بغير الله ليست شركاً وقد أجاب عنها بجوابين:

الأول: أن هذه استغاثة بمخلوق فيما يقدر عليه وهذا لا ينكر لقوله تعالى في قصة موسى: ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾ .

الجواب الثاني: أن الناس لم يستغيثوا بهؤلاء الأنبياء الكرام ليزيلوا عنهم

إذا ثبت ذلك فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف وهذا جائز في الدنيا والآخرة ، وذلك أن تأتي عند رجل صالح حي يجالسك ويسمع كلامك فتقول له: أدع الله لي ، كما كان أصحاب رسول الله ﷺ ، يسألونه ذلك في حياته ، وأما بعد موته فحاشا وكلا أنهم سألوه ذلك عند قبره ، بل أنكر السلف الصالح على من قصد دعاء الله عند قبره فكيف بدعائه نفسه؟ (١) .

الشدة ، ولكنهم يستشفعون بهم عند الله - ﷻ - ليزيل هذه الشدة ، وهناك فرق بين من يستغيث بالمخلوق ليكشف عنه الضرر والسوء ، ومن يستشفع بالمخلوق إلى الله عنه ذلك .

(١) قوله: "إذا ثبت ذلك فاستغاثتهم بالأنبياء . . . إلخ" هذا هو الجواب الثاني وهو أن استغاثتهم بالأنبياء من باب طلب دعائهم إلى الله ﷻ أن يريح الخلق من هذا الموقف العظيم ، وليس دعاء لهم ، بل طلب دعائهم لربهم ﷻ ، وهذا أمر جائز كما أن الصحابة رضي الله عنهم يسألون النبي ﷺ أن يدعو الله لهم ، ففي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة والنبي ﷺ الله عليه وسلم يخطب فقال: "يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل ، فادع الله يغيثنا ، ولم يقل فأغثنا يا رسول الله ، بل قال: "فادع الله يغيثنا" ثلاث مرات ، فأنشأ الله سبحانه وتعالى سحابة فأمطرت ، ولم يرو الشمس أسبوعاً كاملاً والمطر ينهمر ، وفي الجمعة التالية دخل رجل أو الرجل الأول فقال: "يا رسول الله غرق المال ، وتهدم البناء فادع الله تعالى يمسكها عنا" فدعا النبي ﷺ ربه وقال: "اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والضراب وبطون الأودية ، ومنابت الشجر" ، فانفجرت السماء وخرج الصحابة يمشون في الشمس .

فهذا طلب دعاء من رسول الله ﷺ لله ﷻ وليس دعاء لرسول الله ﷺ ولا استغاثة

ولهم شبهة [1] أخرى وهي: قصة إبراهيم لما ألقي في النار اعترض له جبريل في

به ، وبهذا يعرف أن هذه الشبهة التي لبس بها هؤلاء شبهة لا تنفعهم بل هي حجة داحضة عند الله ﷻ .

ثم ذكر المؤلف رحمه الله أنه لا بأس أن تأتي لرجل صالح تعرفه وتعرف صلاحه فتسأله أن يدعو الله لك ، وهذا حق إلا أنه لا ينبغي للإنسان أن يتخذ ذلك ديدناً له كلما رأى رجلاً صالحاً قال أدع الله لي ، فإن هذا ليس من عادة السلف رضي الله عنهم ، وفيه إتكال على دعاء الغير ، ومن االمعلوم أن الإنسان إذا دعا ربه بنفسه كان خيراً له لأنه يفعل عبادة يتقرب بها إلى الله ﷻ فإن الدعاء من العبادة كما قال الله تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [سورة غافر ، الآية: ٦٠]. الآية ، والإنسان إذا دعا ربه بنفسه فإنه ينال أجر العبادة ثم يعتمد على الله ﷻ في حصول المنفعة ودفع المضرة ، بخلاف ما إذا طلب من غيره أن يدعو الله له فإنه يعتمد على ذلك الغير وربما يكون تعلقه بهذا الغير أكثر من تعلقه بالله ﷻ ، وهذا الأمر فيه خطورة وقد قال شيخ الإسلام رحمه الله "إذا طلب الإنسان من شخص أن يدعو له أن ينوي بذلك نفع ذلك الغير بدعائه له ، فإنه يؤجر على هذا وربما ينال ما جاء به الحديث أن الرجل إذا دعا لأخيه بظهر الغيب قالت الملائكة آمين ولك بمثلها .

(١) قوله: "ولهم شبهة أخرى وهي قصة إبراهيم عليه السلام لما ألقي في النار . . . إلخ" . والجواب عن هذه الشبهة:

أن جبريل إنما عرض عليه أمراً ممكناً يمكن أن يقوم به فلو أذن الله لجبريل لأنقذ إبراهيم بما أعطاه الله تعالى من القوة فإن جبريل كما وصفه الله تعالى ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [سورة النجم الآية: ٥] فلو أمره الله أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل ولو أمره أن يحمل إبراهيم إلى مكان بعيد عنهم .

لفعل ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل .

الهواء فقال: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم: أما إليك فلا ، قالوا: فلو كانت الإستغاثة بجبريل شركاً لم يعرضها على إبراهيم ؟ فالجواب: أن هذا من جنس الشبهة الأولى: فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه ، فإنه كما قال الله تعالى فيه: ﴿ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ [سورة النجم ، الآية: ٥] فلو أذن الله له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض والجبال ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل ، ولو أمره أن يضع إبراهيم في مكان بعيد عنهم لفعل ، ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل ، وهذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلاً محتاجاً فيعرض عليه أن يقرضه ، أو أن يهبه شيئاً يقضي به حاجته فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن يأخذ ويصبر إلى أن يأتيه الله برزق لا منة فيه لأحد . فأين هذا من إستغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون؟!.

ولنختم الكلام [1] - إن شاء الله تعالى - بمسألة عظيمة مهمة جداً تفهم مما تقدم ،

ثم ضرب المؤلف بهذا مثلاً رجل غني أتى إلى فقير فقال هل لك حاجة في المال؟ من قرض أو هبة أو غير ذلك؟ فإنما هذا مما يقدر عليه ، ولا يعد هذا شركاً لو قال نعم لي حاجة أقرضني ، أو هبني لم يكن مشركاً .

(١) ختم المؤلف هذه الشبهات بمسألة عظيمة هي:

أنه لابد أن يكون الإنسان موحداً بقلبه وقوله وعمله فإن كان موحداً بقلبه ولكنه لم يوحد بقوله أو بعمله فإنه غير صادق في دعواه ، لأن توحيد القلب يتبعه توحيد القول والعمل لقول النبي ﷺ: «إلا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، إلا وهي القلب» [رواه البخاري في "الإيمان" (٥٢) باب فضل من استبرأ لدينه . ومسلم في "البيوع" (٤٠١٧) باب أخذ الحلال وترك الشبهات . وأبو داود في "البيوع" (٣٣٢٩) باب في اجتناب الشبهات والترمذي في "البيوع (١٠٢٥) باب ما جاء في ترك الشبهات والنسائي في "البيوع" (٢٤١/٧) باب اجتناب الشبهات في الكسب ، وابن ماجة في "الفتن" (٣٩٨٤) باب الوقوف عند الشبهات من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه] فإذا من جنس فرعون الذين كان مستيقناً بالحق عالماً به لكنه أصر وعاند

ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها ، ولكثرة الغلط فيها فنقول: لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل ، فإن أختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً ، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس وأمثالهما .

وهذا يغلط فيه كثير من الناس يقولون: هذا حق ونحن نفهم هذا ، ونشهد أنه الحق ، ولكنا لا نقدر أن نفعله ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم ، وغير ذلك من الأعذار (١) .

ولم يدر المسكين (٢) أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ، ولم يتركوه إلا لشيء

وبقي على ما كان عليه من دعوى الربوبية ،قال الله تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [سورة النمل ، الآية: ١٤] وقال تعالى عن موسى أنه قال لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ ﴾ [سورة الإسراء ، الآية: ١٠٢].

(١) قوله: "وهذا يغلط فيه كثير من الناس ... إلخ" يعني أن كثيراً من الناس يعرف الحق في هذا ويقولون نحن نعرف أن هذا هو الحق ولكننا لا نقدر عليه لمخالفته أهل بلدنا ونحو ذلك من الأعذار ، وهذا العذر لا ينفعهم عند الله - ﷻ - ، لأن الواجب على المرء أن يلتمس رضا الله ﷻ - ولو سخط الناس ، وأن لا يتبع رضا الناس بسخط الله ﷻ ، وهذا يشبه من يحتجون بما كان عليه آباؤهم وهم الذين حكى الله عنهم ﴿ وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ [سورة الزخرف ، الآية: ٢٣].

(٢) قوله: "ولم يدر المسكين" أي المعدم من الفقه والبصيرة أن غالب أئمة الكفر كانوا يعرفون الحق لكنهم كانوا يعرفون الحق لكنهم عائدوا فخالفوا الحق كما قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ ﴾ وقال: ﴿ اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ فكانوا يعتذرون بأعذار لا تنفعهم كخوف بعضهم من فوات الرئاسة وتصدر المجالس ونحو ذلك .

من الأعذار كما قال تعالى ﴿ اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ [سورة التوبة ، الآية: ٩]. وغير ذلك من الآيات كقوله: ﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ ﴾ [سورة البقرة ، الآية: ١٤٦].

فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً [١] وهو لا يفهمه ، أو لا يعتقده بقلبه فهو منافق ، وهو شرمن الكافر الخالص لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ [سورة النساء ، الآية: ١٤٥].

وهذه المسألة كبيرة طويلة [٢] تتبين لك إذا تأملتها في ألسنة الناس ترى من يعرف

فكثير من أئمة الكفار يعرفون الحق ولكنهم يكرهونه ولا يتبعونه ، ومعرفة الحق دون العمل به أشد من الجهل بالحق ، لأن الجاهل بالحق يعذر ، وقد يعلم فيتنبه ويتعلم بخلاف المعاند المستكبر ، ولهذا كان اليهود مغضوباً عليهم .

(١) يقول رحمه الله: فإن عمل بالتوحيد ظاهراً أي باللسان والجوارح ، ولكنه لم يعتقده بقلبه ولم يفهمه فإنه منافق ، وهو شر من الكافر المصرح بكفره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ وهذا ظاهر فيمن كان معانداً يعلم الحق ولكنه كرهه بقلبه ولم يطمئن إليه ، ولم يستقر به ، ولكنه أظهر الإلتزام بالشريعة خداعاً الله ولرسوله وللمؤمنين ، وأما من كان لا يفهمه بالكلية ولا يدري ولكنه يعمل كما يعمل الناس ولم يتبين له ذلك الشيء الذي يعملونه والمقصود منه ، فإن الواجب أن يبلغ ويعلم ، فإن أصر على ما هو عليه من إنكاره بقلبه فهو منافق .

(٢) بين - رحمه الله - أن هذه المسألة مسألة كبيرة طويلة يعني أن تتبعها يطول بواسطة أن كثيراً من الناس قد يأبى الحق خوفاً من أن يلام عليه ، أو رجاء لجاه أو دنيا ، فيحتاج أن يتتبع أحوال الناس ويعرفها تماماً حتى يعلم من هو منافق ومن هو مؤمن إيماناً خالصاً .

الحق ويترك العمل به لخوف نقص دنيا ، أو جاه ، أو مداراة لأحد ، وترى من يعم لبه ظاهراً لا باطناً فإذا سألته عما يعتقد بقلبه فإذا هو لا يعرفه ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله: أولاهما [(١)]: قوله تعالى: ﴿لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [سورة التوبة: الآية: ٦٦] ، فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر ، أو يعمل به خوفاً من نقص مال ، أو جاه ، أو مداراة لأحد أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها .

والآية الثانية: [(٢)]: قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ

---

(١) يحث المؤلف رحمه الله على تدبر آيتين من كتاب الله ﷻ :

أولاهما قوله تعالى: ﴿لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ وهذه الآية نزلت في المنافقين الذين سبوا رسول الله ﷺ وأصحابه القراء .

فالمؤلف – رحمه الله – يقول إذا كان هؤلاء المنافقون الذين غزو مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك كفروا بكلمة قالوها على سبيل المزاح لا على سبيل الجد فما بالك بمن يكفر كفراً جدياً يريده بقلبه من أجل خوف فوات مركز ، أو جاه ، أو ما أشبه ذلك ، فإنه يكون أعظم وأعظم ، فالواقع أن كلهم كفروا بعد إيمانهم سواء فعلوا ذلك استهزاء أو فعلوه على سبيل الجد والكفر ، خوفاً أو رجاء ، فإن كل إنسان يظهر الإسلام ويبطن الكفر فهو منافق على أي وجه كان .

(٢) هذه هي الآية الثانية التي حث المؤلف رحمه الله تعالى على تدبرها وهذه الآية تدل على أنه لا يعذر أحد كفر بعد إيمانه إلا من كان مكرها ، وأما من كفر على سبيل الاختيار لأي غرض من الأغراض سواء كان مزاحاً ، أو مشحة في وظيفة ، أو دفاعاً عن وطن ، أو ما أشبه ذلك فإنه يكون كافراً ، فالله ﷻ لم يعذر من كفر إلا من كان مكرها بشرط أن يكون قلبه مطمئناً بالأيمان .

مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ ﴾ [سورة النحل ، الآية: ١٠٦]. فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه سواء فعله خوفاً أو مداراة ، أو مشحة بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله ، أو فعله على وجه المزح أو لغير ذلك من الأغراض إلا المكره .

فالآية تدل على هذا [١] من جهتين:

الأولى: قوله: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ ﴾ فلم يستثن الله تعالى إلا المكره ، ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا على الكلام أو الفعل وأما عقيدة القلب فلا يكره عليها أحد .

والثانية: [٢]: قوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ ﴾

---

(١) أي أن الله تعالى لم يستثن في الآية من الكافرين إلا من أكره ، والإكراه لا يكون إلا على القول أو الفعل ، أما عقيدة القلب فلا يطلع عليها إلا الله ، ولا يتصور فيها الإكراه لأنه لا يمكن لأحد أن يكره شخصاً فيقول: لا بد أن تعتقد كذا وكذا ؛ لأنه أمر باطن لا يعلم به ، وإنما الإكراه على ما ظهر فقط بالقول أوالفعل .

(٢) **الوجه الثاني:** أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة فكان كفرهم سببه أنهم استحبوا الدنيا على الآخرة ويعني بالدنيا كل ما يتعلق بها من جاه ، أو مال ، أو رئاسة أو غير ذلك ممن آثر الدنيا بما فيها على الآخرة وكفره من أجل إيثار الدنيا فإنه يكون كافراً وإن لم يكن مستحباً للكفر ولكنه مستحب لحياة الدنيا فإنه يكفر ، وذلك أن بعض الناس يكفر لأنه يحب الكفر ويعجبه ، وبعض الناس يكفر لمال ، أو جاه ، أو رئاسة ، وبعض الناس يكفر لينال بذلك شيئاً من السلطان وما أشبه ذلك فالأغراض كثيرة .

نسأل الله تعالى أن يهدينا الصراط المستقيم وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا .

فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد أو الجهل ، أو البغض للدين ، أو محبة الكفر وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا فآثره على الدين .

والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[1] .

****

(١) ختم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى كتابه هذا برد العلم إلى الله والصلاة والسلام على نبيه محمد ﷺ وبهذا انتهى كتاب كشف الشبهات فنسأل الله تعالى أن يثيب مؤلفه أحسن ثواب وأن يجعل لنا نصيباً من أجره وثوابه وأن يجمعنا وإياه في دار كرامته إنه جواد كريم والحمد لله رب العالمين وصلي وسلم على نبينا محمد .

الفهـــرس

****